من تراث الشيعة

تأليف

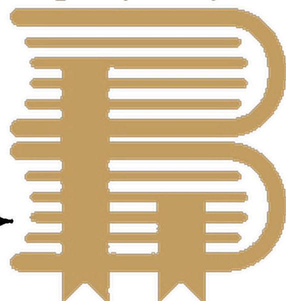
حبيب السيد سلمان الخطيب
الموسوي

من تراث الشيعة

تأليف

حبيب السيد سلمان الخطيب

الموسوي



مطبعة النجف - النجف الاشرف - ت ٦٢

ربيع الثانى ١٣٨٥ هج

الطبعة الأولى

الإهداء

إلى باعث هذه الروح وغارس هذا الثمر .

إلى من بنور علمه اهتديت ، وبنفحات توجيهه استقمت

إليك يا أبي

يعود « من تراث الشيمة » صدى لذلك العلم ونفحة من تلك الروح وثمرة من ثمار ذلك الغرس ؟

ولدك

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف رسله وخاتم أنبيائه محمد المصطفى من بريته والمخصوص بكرامته . وعلى آل محمد المنتجبين الأطهار والهداة الأخيار والقادة الأبرار . ولله الحمد من قبل ومن بعد لما دعا اليه من سبيله وتفضل به على عباده « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » . وبعد :

فما كان لأمة محمد ﷺ أن ترتفع مكانتها وتسمو مرتبتها بعد ضعة الجاهلية إلا بنبوة محمد جامع الشتات وموحد الصفوف ، وهادى الأنام لمحجة الإسلام .

وانى إذ أقول ذلك فلا أقوله إلا إظهاراً لنوازع نفسى وكوامن شعورى وخفايا أحاسيسى التى يملأ حناياها حب الوحدة الإسلامية ويفيض فى جنباتها الإخلاص لهذه الأمة دون تمييز .

وما دفعنى لكتابة هذا الموضوع دافع من تعصب ولا حافز من

مباهاة ولكن دوافع اجتمعت لتكون المثير لشعوري والحافز لعقلي والمداد لقلمي والمصدر الضخم لموضوعي .

دوافع أجملها بما يلي :

أولا : - في مجتمعنا اليوم من يجهل ما للشيعة من تراث تمام الجهل ، وقد لا يرى البعض مذهبهم إلا مذهب خرافات وأوهام وان عقائدهم إن هي إلا أساطير وأباطيل لعدم اطلاعهم على كنوز كتب الشيعة الكثيرة ومجهوداتهم العلمية ومعارفهم الغزيرة التي ما اقتصرت على الفقه الاسلامي ، بل تتعداه لكل باب علم ولكل فن فاذا بها مؤلفات في الفلك واخرى في الكيمياء واخرى في الفيزياء واخرى في الطب والتشريح ، واخرى لا يحصيها العد ولا يحيط بها الحصر ؛

ثانياً : - يندفع كثير من ذوي الجهل لأن ينعتوا الشيعة بكل نعت شين ويصنفونهم مع أصناف فرق الضلالة من أمة محمد ، ولا أرى ذلك إلا بدافع جهل معتقدهم وقلة الالمام بأبسط ما يؤمنون به .

ثالثاً : - كثير من يرى مذهب التشيع مذهباً ولده غير العرب وتعهده بالتقويم غير العرب ، وأخذوا ينظرونه وكأنه ليس ماخوذاً عن سليل سيد العرب والمسلمين الامام السادس جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم أفضل الصلاة والسلام .

رابعاً : - وذكر تراث الشيعة وتعداد ماضمت طائفتهم من العلماء الفضلاء والفلاسفة والحكماء والشعراء المشاهير والخطباء الأجلاء هو الرد على كل ذلك باظهار مذهب التشيع على حقيقته مذهباً يدرك سلامة

مبادئه كل منصف ولا يطمن بصحة معتقده كل عالم .

وما دعاني لذلك إلا حبي لوحدة المسلمين ولم شتاتهم وتوحيد صفوفهم كما ذكرت سلفاً ، فسطرت ما أستطيع قوله في هذا الشأن رداً لعاديات الافتراء ودفاعاً عن مذهب أهل البيت المطهر ، وأخذت في كتابي هذا ذكر نبذة موجزة عن طهارة هذا المذهب وسلامة مبادئه من درن الجاهلية وخلوصه عن روح العصبية المقيتة والشعوبية المنكرة وابتعاده عن مجافاة الشريعة الأحمدية ، ومن ثم انتقلت فيه إلى أخذ مشاهير أهل هذا التراث وتراثهم متناولا ذلك بالسرد والتفصيل آملا في ذلك للقارىء الكريم حسن الاطلاع والانتفاع والله الموفق لما يرضاه وهو أرحم الراحمين ؟

النعمانية ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هج — المؤلف

فصول الكتاب

الفصل الأول

١

طهارة المولد

إن مذهب التشيع من حيث المولد والأصل يتفرد بأنه بذرت بذرته الأولى على عهد رسول الله ﷺ فكان هو الغارس الأول لبذرته يثبت ذلك الثعالبي في تفسيره والامام أحمد في مسنده وصاحب كتاب كنز العمال في كنزه (١) في مخاطبة النبي ﷺ لعشيرته وحديث ذلك مشهور، إذ ختمه النبي آخذاً برقبة عليّ وهو يقول: « فهذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ».

هذا من جهة ومن أخرى فان جماعة من أصحاب رسول الله كانوا يشايعون علياً عليه السلام على عهد رسول الله ﷺ ويوالونه إلا الذين أسلموا بعد الفتح وفي قلوبهم موجدة من علي قاتل رجالهم قبل الفتح، وهذا ما أجمع عليه المسلمون وذكروه أول أسباب تنحية علي عليه السلام عن الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

فمن هنا كان مولد التشيع وبناء لبنته الأولى على أيام رسول الله

---

(١) كتاب كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ المطبوع في مطبعة دار المعارف بحيدرآباد سنة ١٣١٠ هـ.

ومن ناحية اخرى فان متممي هذا البناء وهذا الأساس لهذا المذهب هم أحفاد رسول الله ﷺ وأبناؤه وعنهم أخذ المتشيعون لهم اصول الدين وفروعه وأوامره ونواهيه ، ومنهم استقوا التعاليم وعلى يدهم تتلمذ العلماء والفقهاء وعلى هديهم سار الصالحون .

وهذا ما يصفع المفترين على وجوههم وأفواههم ويثبت طهارة هذا المولد وقداسة هذا الوليد الذى بين أحضان بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل ، ولد ومن ثدى الصلاح والتقى رضع وتلقى التربية والتهذيب ممن هذبهم الرحمن ودرسهم القرآن ووجههم محمد ﷺ فكانوا القدوة المثلى لأمتهم والسادة لأهل دينهم والقادة لأتباع جدهم وان شط عنهم نفر فما كفر بحقهم أحد ، وان جهلهم ثلة قليلة فما فقدوا عرفان الأكثرية .

فلقد كان أئمة هذا المذهب ورجاله مفخرة الأمة الاسلامية بأجمعها ، يخشع لذكرهم كل قلب ويلهج بفضلهم كل لسان ، وتطبع صورة حبهم على كل جارحة لدى كل مؤمن صادق الايمان عامل بالأركان

وأما عن صدقهم فلا يشك شاك ولا يعاند معاند فيه ، ولهذا فلا ترى للمتشيع أدنى شك فى عقيدته ولا أدنى ريب فى صحة حكم من أحكام مذهبه ولا فى سلامة رأى من آراء مجتهديه وأئمته لأنهم عن الكتاب الكريم أخذوا ومنه اقتبسوا وبالرسول الأكرم اقتدوا وبهديه اهتدوا وبالصدق جسدوا ذلك ، فمثلوه على أنفسهم وطبعوه بسيرتهم ، فترى الاسلام عندهم أعمالا وأقوالا ينهون عن أمر وتراهم

أسبق الناس للإنتهاء عنه ، أو يأمرون بأمر وهم أول الناس ابتداراً اليه ، فتجسدت فيهم عظمة الاسلام وجلالة الايمان وخشية الرحمن ، فكانت مودتهم ومشايعتهم ومتابعتهم تطبع على قلب المسلم عفو الخاطر وتقديسهم كان يفرضه على المسلمين تقديس هؤلاء الأئمة لله وعظيم رهبتهم منه وعبادتهم له واجتناب محارمه .

وبذلك زكا هذا المولد وطهر هذا الوليد ، وتعفف عن مواكبة الباطل ومجاراة البدع والأضاليل ، وعاش على ذلك الغذاء الروحى من أئمة الهدى حتى بعد وفاتهم يقبسه من تراثهم الضخم وسيرتهم الجليلة وحتى من ثرى أضرحتهم المقدسة التى تنفح بالأمجاد وتعبق بشذى صادق الاخلاص وعميق الايمان وتملى على المتشيع الحق سلامة الغاية وطهر الوسيلة وشرف الهدف ونبذ التعصب والكفر بما كفر به الأئمة من مبادىء الباطل ودعاوى الضلال وشرك الجاهلية مع عدم التهاون فى حفظ بيضة الاسلام وسيادته ، والذود عن الحق وقداسته ، وما مرت على هذا الوليد فترة غزو غير إسلامى النزعة ، فلقد كانت مبادىء الحق الصراح رائد أهله وزعامة أهل البيت الممثلين بزعامتهم زعامة الوازع الدينى ، وسيادة الشعور الاسلامى العربى الصالح العارى عن لبوس العصبية والبعيد عن روح الجاهلية المبرقعة بالاسلام وإنما أقول ما مر عليه غزو أعنى أن مبادئه بقيت كالطود الأشم لم تدنسها غدرات أعداء الاسلام ولا أهواؤهم ولا أعنى بذلك الغزو السياسى فلقد تعرض هذا الوليد لحرب مسعورة الأوار ، مشبوبة النار فى كل أزمانه وأدواره

وفى كل اصقاعه وبلدانه ، وعانى رجاله من جراء شدة ثباتهم وعدم تهاونهم بكلمة حق لاقوا ما لاقوا من عنت واضطهاد وقتل وتشريد وظلم وتعذيب ، فغصت بهم السجون وامتلأت بهم القفار مشردين وسوح الجهاد مقتولين مظلومين ليحقنوا بدمائهم دماء أمة محمد ﷺ وليرووا بزكى تلك الدماء شجرة الحق حتى تنمو فتؤتى أكلها ولو إلى حين ، وليجددوا بأصواتهم المخنوقة وأفواههم المكمومة وحناجرهم المبحوحة صوت الحق الصارخ بوجه كل ظلم وضلال فى كل وقت وفى كل عصر ، ولكى يرفعوا بارتفاع قبورهم راية الحق والفضيلة التى بها أحاطوا هذا الوليد وفى كنف تضحياتهم نشأ ، وعلى تفانيهم استند فقام قوياً صامداً صلداً لا تصده ولا تصدعه الأراجيف وتتهشم على صخرته الصماء دواهى المحن وعظائم الرزايا وليكون حرب هذا الوليد درساً يتلقاه ليقوى فى عزيمته وليثبت فى روحيته أمام التيارات الجارفة والارادات الجائرة والعواصف الهادرة مرفوع الرأس وضاء الجبين ترفرف عليه راية النصر المؤزر مخطوط عليها انتصار الاسلام بجوهره ضمن « لا إله إلا الله محمداً رسول الله » .

الفصل الثانى

تراث الشيعة
بين القديم والحديث

لم يك للتأثير الحاصل من جراء الوقائع السياسية والحوادث الزمنية خلال العهد الراشدى والعهد الأموى والعهد العباسى وما تلاها أثراً يخص جانباً دون جانب من جوانب الحياة بل تناولها عامة ، فما كان مقصوراً على الجانب السياسى وحده وحسب ، بل تعداه بمؤثرات قوية على ميادين النشاط الأسلامى ومظاهر حياة المجتمع الاسلامى فى نواحيها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية ... الخ

ولم يك ذلك التأثير محدوداً على جزء من تراث الأمة الواسع ولم يشمل أفراداً أو طوائف معدودة لا يتعداها ، بل عم فى وعلى تراث الأمة الاسلامية بمختلف اتجاهاتها وطوائفها ، ونال بذلك تراث الشيعة شيئاً من التحوير والتأثير « مع تأكيدنا على عدم تأثر جوهر العقيدة الشيعية بما يحيطها من تأثير وتغيير سياسى » . لذلك فاننا لا نغفل ما مر على تراث الشيعة من مد وجزر خلال الأزمنة والأدوار المختلفة واننا إذ نقول ذلك لنضرب له المثل . فالشعر كتراث أدبى للشيعة نراه

يختلف من دور إلى دور فى صراحة تشيعه أو مدح أهل البيت . فشتان مثلا بين عهد المأمون إذ أجاز مادحى أهل البيت وبين المتوكل الذى يقطع لسان ذاكرهم بفضيلة .

فالتغيير من هذا القبيل فى جوانب التراث وليس فى صلب العقيدة

ونود أن نبين الجوانب التى سنتناولها بالبحث من تراث الشيعة على وجه العموم . فمثلا سنتناول التراث العقائدى لمذهب التشيع أولا. وثانياً نتناول فيه ذكر مشاهير رجال العقيدة فنمد أولا الصحابه فالتابعين ، ومن ثم الكتب العقائدية عند الشيعة ، وثم ننتقل الى تراثهم من الناحية العلمية ، فتراثهم الحضارى ، ثم الأدبى والفلسفى ، ونذكر تراثهم الاجتماعى والاقتصادى ، ونتناول جانباً هو من تراثهم فى الصميم بل المخلد لتراثهم وهو المنبر الحسينى والشعائر الحسينية .

وسنأخذ فى بحث هذه الجوانب من التراث طريقة البحث والدرس وأخذ الأمثلة الحية فى كل جانب من جوانبه ملمين برجالاته عارفين سيرهم وآراءهم وآثارهم .

ولا أستطيع بالطبع أن أوفى هذا الموضوع حقه أو أشبعه بحثاً ولا أدرك الاحاطة به قديماً وحديثاً ، ولكن أجتهد وأحاول على بحث ما أدركه وأستطيعه بحثاً مختصراً يجعل الكتاب أقرب تناولا من أكبر مجموعة لتعم فائدته وسأكون محاولا محاولة المجتهد حد اجتهاده والعامل غاية امكانه والباذل منتهى قدراته فان نال حظ الصواب نال بذلك طلابه وحصل ثوابه وإلا فالحكم الفيصل والعذر الأكبر « وفوق كل ذى علم عليم » . صدق الله العلى العظيم ؟

الفصل الثالث

تراث الشيعة

من الناحية العقائدية

ما كان مذهب التشيع ديناً يحتاج إلى رسول وكتاب ، ولا حزباً يحتاج إلى التنظيم والتكتيك ، ولا جمعية تحتاج إلى لجنة تقود العاملين ، وإنما كان التشيع التزاماً بتعاليم هي تعاليم الرسول وكتاباً هو كتابه ، وسنة هي قوله وعمله مأخوذة عن أوثق المصادر وأصح الروايات ، وليس هو حزباً إذ ليس فيه من صفات تقارب الحزبية وتدانيها فلا تنظيم ولا تكتيك ، بل ولاء وحب واعتقاد باطني وتطبيق ظاهري واعتناق لمبادئ فاضلة واقتداء بسير صالحة وأخلاق كريمة وسجايا حميدة ، وليس هو جمعية إذ ليس فيه ما في الجمعيات من هيئات ولجان وقيادات ، وإنما هو تواص بالحق وتواص بالصبر وأخذ بتعاليم القرآن والرسول عن أصدق الطرق وأضمن المصادر كما قلنا . ومن أصدق وأعلم من أهل البيت بما فيه ؟ .

ولهذا فجانب التراث العقائدي لا يتناول إلا المعتقد بأبعاده

وحدوده ومتونه وشروحه آخذاً ذلك أصولا وفروعاً بالتوضيح والتحليل ومن ثم التدليل على صدق المعتقد وأحقية معتقديه ومعتنقيه وإثبات صحة أصولهم وسلامة فروعهم واصالة تدينهم بالدين الإسلامى دون الخروج عن تعاليمه قيد شعرة أو تحريف مبادئه أقل تحريف وعدم تأويلها بغير مدلولها السليم الذى ما أخذوه إلا بعد يقين من الراوى واطمئنان من المفسر وتأكد من صحة التفسير وضبط المتن دون الشرح ، ولهذا تحرجوا فى الرواة لدرجة التكذيب لأكثرهم فأهملوا ما لم يرد على لسان أهل البيت جملة إلا ما ندر ، وأخذوا بأقوالهم واتصفوا بأفعالهم التى كانت تجسيداً للعقيدة أى تجسيد .

فتراث الشيعة العقائدى الذى سنبحثه هو مايخص العقيدة وماضمنته طائفة المتشعين من رجال صحابيين يدينون بهذا المذهب ثم التابعين (١) ومن ثم ما ضمنه تراثهم من كتب وردت لتبيان العقيدة وشرحها ومن ثم الدفاع عنها والذود عن حياضها .

فالصحابيون المشايعون لأهل البيت كثيرون ، منهم ما سنذكره على الإستشهاد (٢) . (فلقد قال محمد كرد على فى كتابه خطط الشام (٥ : ٢٥١ - ٢٥٦) .

عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة على فى عصر رسول الله

---

(١) نذكر ذلك تأكيداً لاصالة التشيع وسبقه عند الصحابة والتابعين .

(٢) مأخوذ من كتاب الشيعة والحاكمون لمحمد جواد مغنية نصاً (ص ١٥) الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ منشورات المكتبة الأهلية .

ﷺ مثل سلمان الفارسى القائل : (بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والإئتمام بعلى بن أبى طالب والموالاة له) ، ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول :(أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ولما سئل عن الأربع قال : الصلاة والزكاة والصوم والحج ، قيل : فما الواحدة التى تركوها ؟ قال : ولاية على بن أبى طالب . قيل : وانها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هى مفروضة معهن) . ومثل أبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندى ، وحذيفة بن اليمان ، وذى الشهادتين ، وأبى أيوب الأنصارى ، وخالد بن سعيد ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبىّ بن كعب ، وجابر ابن عبدالله الأنصارى ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعمرو بن الحمق الخزاعى ، وحجر بن عدى ، وهاشم بن عتبة بن أبى وقاص المعروف بالمرقال ، وعدى بن حاتم الطائى ، وخالد وأبان الأمويان ، وسهل بن حنيف والبراء بن عازب ، والأحنف بن قيس ، وخباب بن الأرت ، وبلال مؤذن رسول الله ، وأبو قتادة الأنصارى ، وأبو دجانة الأنصارى وسعد بن مسعود الثقفى ، ويزيد بن نويرة ، وهو أول قتيل من أصحاب على يوم النهروان وشهد له بالجنة رسول الله مرتين (١) ، وسليمان بن صرد الخزاعى ، وعثمان بن حنيف أخو سهل ، ونافع بن عتبة بن أبى وقاص أخو هاشم المرقال ، وأبو ليلى الأنصارى المسمى (يسار) (٢)

(١) ج ١ صفحة (١٥١) من تاريخ الخطيب البغدادى .

(٢) ليس أخذنا لهذه الأسماء عن مصدر واحد ولكنها من مجموعة مصادر منها المذكورة فى آخر الكتاب .

وغير هؤلاء كثير من الصحابة عدهم السيد حيدر الآملي فى كتابه المسمى (الكشكول فيما جرى على آل الرسول) وذكر مائة صحابى مع من ذكرنا كلهم شيعة لعلى ﷺ غير بنى هاشم الذين تشيعوا لعلى ﷺ وطالبوا بخلافته وفيهم العباس بن عبد المطلب .

هذا ما ضمنه تراث الشيعة من الرجالات المشاهير من صحابة رسول الله ﷺ .

أما مشاهير المتشيعين من التابعين فنذكر منهم : الأصبغ بن نباتة التميمى الكوفى ، وأياس بن نذير ، ومالك بن الحارث الأشتر النخعى المذحجى ، وعلقمة بن قيس النخعى التابعى الفقيه ، وحبيب بن مظاهر الأسدى شهيد كربلاء ، وقد عد حبيب مع الصحابة لمشاهدته لرسول الله ﷺ كما يذكر ذلك الشيخ عبد الواحد المظفرى فى كتابه (١) .

ومن التابعين المتشيعين (٢) ميثم التمار وهلال بن نافع البجلى ، وعابس بن شبيب الشاكرى (هلال وعابس من شهداء كربلاء) ورفاعة ابن شداد البجلى ، والمسيب بن نجبة الفزارى ، وسليم بن قيس الهلالى (أحد مشاهير الرواة عن أهل البيت) ، وأبان بن تغلب وسعيد بن جبير (شهيد واسط) المقتول لتشيعه (٣) ، وثابت بن دينار المعروف بأبى حمزة الثمالى وصعصعة بن صوحان العبدى ، وعامر بن واثلة بن

(١) البطل الأسدى حبيب بن مظاهر المطبوع فى النجف سنة ١٣٧٠ هـ ذكر صحبته فى تعليق طويل ولكنه رجح كونه تابعياً .

(٢) لم يكن إحصاؤنا للمتشيعين التابعين عن مصدر فنذكره ولكنه عن مصادر عدة

(٣) قتله الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٩٥ هـ .

عبدالله بن عمرو الليثى المكى الذى عده ابن قتيبة الدينورى فى كتابه المعارف انه من غلاة الرافضة ، وعبدالله بن شداد الليثى الكوفى المترجم له فى ص ٨٦ من الطبقات الجزء السادس ، وزيد بن الحارث الكوفى ذكره الذهبي فى ميزانه وقال : (إنه من ثقاة التابعين وفيه تشيع) ، وحبيب بن أبى ثابت الأسدى الكاهلى الكوفى الذى ذكر تشيعه الشهرستانى فى الملل والنحل وابن قتيبة فى معارفه والذهبى فى ميزانه ، والحارث بن عبدالله الهمدانى يعترف بتشيعه الذهبي وابن قتيبة والحارث بن حصيرة الأزدى الكوفى الذى ذكره الرازى فقال : هو من الشيعة العتق ، ونوير بن فاختة الكوفى مولى أم هانى بنت أبى طالب وعطية بن سعد بن جنادة العوفى الكوفى أكد تشيعه الذهبي فى ميزانه ويحي بن الجزار العرنى الكوفى .

هذه سلسلة ذكرنا فيها بعض مشاهير التابعين المتشيعين لعلى عليه السلام جاءت بعد ذكرنا للمتشيعين من الصحابة إثباتاً منا لاصالة التشيع وتأكيداً لسلامة منبعه وطهارة أصله وعظمة رجاله .

ونورد بعد ذلك ما نستطيع ذكره من مؤلفات الشيعة العقائدية التى خلدوا بها عقيدتهم ووضحوا معتقدهم وبسطوا آراءهم ومبادئهم ومن ثم ألفوا فى إثبات صحة هذه الآراء وصدق هذا المعتقد وأكدوا بعد ذلك بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة اصالة التشيع وصفعوا بسلاح العقل والعلم والعرفان والمنطق السليم وجوه المكابرين والجاحدين

ومن أهم كتب الشيعة التى بها وضحوا معتقدهم وناضلوا عن

قداسة مذهبهم هى ما نستطيع ذكره منها ، مثل كتاب العقائد للشيخ الصدوق ، وكتاب النكت الإعتقادية للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالمفيد ، وكتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد وكتاب الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد (١) وكتاب الشافى للشريف المرتضى ، وكتاب شرح التجريد للعلامة الحلى ، وكشف الفوائد للعلامة الحلى ، وكتاب أمالى السيد المرتضى فى التفسير والحديث والأدب ، والإرشاد للمفيد وأمالى الشيخ الصدوق ، وأمالى الشيخ المفيد فى الأحاديث المروية عن العترة النبوية ، والجزء الأول من كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ونقض الوشيعة للسيد محسن الأمين أيضاً ، ودلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ، وأصل الشيعة وأصولها للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وكتاب الفصول المهمة للسيد عبد الحسين شرف الدين وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين أيضاً . ومن كتبهم الدفاعية عن العقيدة : الإحتجاج للعلامة الطبرسى .

هذه نوادر من فيوض مؤلفات الشيعة نذكرها ليراجع المراجع وليطلع الباحث المنقب وليتعرف على ما لمذهب التشيع من تراث عقائدى ضخم . فمن صحابة عقائديين وتابعين عقائديين وكتب عقائدية بها رواء الغليل ونهلة الوارد لكل طالب علم وساع وراء عرفان ؟

---

(١) العيون والمحاسن كتاب جمعه المرتضى من أقواله استاذه المفيد وطبع فى النجف سنة ١٩٣٧ م باسم الفهرست ثم اختيرت منه هذه الفصول وطبعت ثانية بهذا العنوان

الفصل الرابع

تراث الشيعة
من الناحية العلمية

لابد لنا ونحن نخوض غمار البحث عن تراث الشيعة ومخلفاتهم العلمية من أن نذكر تراثهم العلمى بجانبيه العلم الدينى والعلم الدنيوى وعلماء كل من شطرى علومهم هذين بشىء من الإلمام قدر المستطاع .

فتراث الشيعة فى العلوم الدينية هو مخلفاتهم من الكتب ورجالاتهم الذين برزوا وبرعوا فى الدرس والبحث ، والمجتهدين على الأخص منهم وكتبهم ومؤلفاتهم فى جوانب العلوم الدينية الخمسة . فعلوم الدين الإسلامى خمسة : هى علم الكلام ، وعلم التفسير ، وعلم الحديث وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه . ويلحق قسم من المسلمين التصوف كعلم سادس ، ولكن العلوم هى الخمس التى ذكرناها عند المسلمين جميعاً ، ولذلك سنتناولها بالشرح الموجز واحداً فواحداً .

فعلم الكلام هو العلم الذى يختص بالبحث عن الخالق والألوهية وصفات الله ومشيئته ونبوة الأنبياء وما يحيط رسالاتهم من براهين

خارقة ، ومايدعمها من مقدورات فوق المقدور البشرى وكذلك الوحى وتلقيه ونزوله والبحث عن المعاد والنشور والثواب والعقاب وما إلى ذلك من البحث عن الحسن والقبيح والجبر والإختيار ، وعن النفس البشرية ومصدرها وجوهرها وحقائقها ومصيرها ، كما لا يهمل علم الكلام جانباً آخر هو الدفاع بالبرهان والدليل وبوسائل الإقناع عن الدين والمعتقد . وهو لهذا من الأهمية بمكان بين علوم الدين الإسلامى .

وأما علم الفقه فهو يتناول فى بحثه الواجب والمندوب والمكروه والمباح هذا فى أفعال المسلم وأقواله ، ويرجع المسلم فى هذا كما فى مذهب الاثنى عشرية إلى الفقيه الذى يرجع الفرع إلى أصله ، ويأخذ العلم من مصدره ، ويجتهد فى الأحكام بما أفاده من دراسة أدلتها وموجباتها المثبتة فى كتب الأصول ، ولهذا فان الفقه يتصدر العلوم الدينية الاسلامية لما يلزمه من الالمام الكامل بعلوم الشريعة المختلفة ، فالفقيه هو الملم بكلها فهو متبحر فى الفقه وأصول الفقه ويستلزمه لذلك معرفة تامة بعلم الكلام . ولما كان الفقه يستند إلى الآيات وتفاسيرها وإلى الحديث وثبوته أصبح لزاماً على الفقيه أن يكون عالماً بسائر العلوم الاسلامية الدينية الخمس لما بينها من ترابط واتصال .

أما علم الأصول فهو الذى يبحث فى وجه صحة الحكم الشرعى أى حكم شرعى كان بأخذ الحكم بأدلة تثبت صحته ، وهذه الأدلة مرجعها عند الأصولى - أى أصولى كان - الأصول الأربعة التى هى الكتاب المقدس والسنة النبوية والاجماع والعقل ولا يتجاوز الأصولى هذه

الأصول الأربعة ولا يتعداها ، وقد يستند الأصولى فى استدلاله وقياسه وبرهانه إلى شيء من التحليل المنطقى والبحث الفلسفى ، وقد يكون فى علم الأصول بالاضافة إلى هـذا الاطلاع والالمام بالفلسفة والمنطق وخلطهما بالأصول ، فهناك الأصول تداخل مع علم النحو الذى به والمنطق والفلسفة يتداخل علم الأصول بعلم الكلام .

أما علم التفسير فهو العلم الذى يتصدى لشرح آيات الكتاب المبين واستخلاص معانيها والبحث فى مداليلها ومراميها ، وهذا ما يستلزمه كل دارس للعلوم الاسلامية ليستطيع أخذ الأحكام من مصدرها وتسيير المجتمع بها ضمن مبادئ دستوره المنزل ونظامه الأفضل الأكمل

وعلم الحديث خامس العلوم الاسلامية علم يبحث فى حديث رسول الله ﷺ وفى عمله وهو ما نقول عنه السنة النبوية لأن قول الرسول وفعله حجة على كل مسلم ومسلمة ، وهـــذا العلم مترابط كل الترابط مع أبواب العلوم الاسلامية الأربع الأخرى ، إذ كما أسلفنا لا محيص لدارس الفقه من الالمام بعلم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم التفسير وعلم الحديث .

أما العلوم الدنيوية المعروفة عند المسلمين والتى يصح أن نقول إنها من علومهم فهى علم اللغات وعلم الكيمياء وعلم الطب وعلم الفلك وعلم الرياضيات .

أما علم اللغات فهو العلم بلغة المتعلم بالنسبة للمتعلم نفسه وبآدابها وقواعدها أو تعلم غير لغته للإفادة والمعرفة والاطلاع على علوم أهلها

وآدابها وتاريخها وكذلك ترجمة معارفهم وعلومهم للغة التي هي لغته أو إلى اللغة الرسمية للاسلام وهي العربية .

وعلم الكيمياء هو البحث في المواد وتحليلها وتركيبها وجزئياتها وذراتها وما يؤثر في المادة ودرجة تأثرها بالحرارة وقدرة المادة على تحول شكلها وتغير قوامها كانصهارها أو انجمادها أو تبخرها إن كانت سائلة أو تكاثفها إن كانت غازية أو ما يلازم المادة من صفات التلون أو الرائحة أو الطعم أو مجالات الافادة منها ليكون ذلك سبيلا إلى استخدام المادة الاستخدام الصالح .

وعلم الطب هو علم الوقاية من المرض أولا ثم علاجه ثانياً وعلاجه بالعقاقير والأدوية أو بالتشريح .

وعلم الفلك هو العلم الذي يبحث في الأرض وعجيب تكوينها والسماء وعظيم بنيانها دون عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ، وما يسبح في جو السماء من كوكب سيار أو نجم دوار أو شمس مضيئة أو قمر مسرج هذا ما يبحثه علم الفلك ويخوض غمراته .

أما علم الرياضيات فهو الاهتمام بالحساب كالأطوال والمساحات والقياسات والحقائق الرياضية الثابتة والقدرة السريعة على الحساب الذهني دون اللجوء إلى الحساب التحليلي الدقيق وكذلك علم الجبر وعلم المثلثات والهندسة كعلوم رياضية أخرى .

هذه أهم العلوم الدنيوية الاسلامية ذكرناها بعد ذكرنا للعلوم الاسلامية الدينية .

أما الآن فنعود لذكر تراث الشيعة فى العلوم هذه وثم نذكر رجالاتهم البارزين ومؤلفاتهم مبتدئين بذكر علماء الشيعة فى الأمور الدينية ثم الدنيوية .

فنقول : إن من علماء الشيعة فى العلوم الدينية ومشاهيرهم سنذكر منهم أكثر ما نستطيع ذكره للتدليل على عظمة تراثهم العلمى فنذكرهم من العصور المتقدمة وحتى العصور المتأخرة .

فمن علماء الشيعة المشاهير مثلاً : الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى مؤلف كتاب النكت الاعتقادية وكتاب أوائل المقالات وكتاب العيون والمحاسن .

والعلامة الحلى الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى مؤلف كتاب منتهى الطلب فى تحقيق المذهب وكتاب الأمالى ، وكتاب منهاج اليقين فى أصول الدين ، وكتاب كشف الفوائد فى شرح قواعد العقائد ، وكتاب الأبحاث المفيدة فى تحصيل العقيدة ، وكتاب نهج الحق وكشف الصدق ، وكتاب نهج الكرامة فى الامامة ، وكتاب الألفين والتبصرة والتذكرة . وقد بلغت مؤلفاته تسعين مؤلفاً .

والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن على بن بابويه القمى مؤلف الأمالى ، وكتاب العقائد ، وكتاب علل الشرايع وغيرها .

والسيد المرتضى على بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم الامام السابع صاحب كتاب الأمالى فى التفسير والحديث والادب ، والسيد رضى الدين على بن موسى بن طاوس الحسينى

وأبي جعفر الطوسى ، والسيد جمال الدين بن موسى بن طاوس ، والشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابورى الخزاعى مؤلف كتاب عيون الاحاديث ، والروضة فى الفقه والسنن ، وكتاب المفتاح فى الاصول والمناسك . والشيخ بركة بن محمد بن بركة الاسدى قرأ على الشيخ الطوسى ، وهومؤلف كتاب الايمان فى الاصول وكتاب الحجج فى الامامة وكتاب عمل الاديان والابدان ، والشيخ سعد بن محمد بن الحسن بن بابويه مؤلف كتاب الصراط المستقيم فى الاصول والفروع والشيخ الكلينى صاحب الكافى ، والشيخ التقى بن نجم الحلبي تلميذ المرتضى والسيد التقى بن طاهر بن الهادى الحسنى الرازى قرأ على المرتضى ، والسيد تاج الدين محمد بن الحسين الحسنى ، والشيخ محى الدين أبوعبدالله الحسين بن المظفر الهمدانى مؤلف كتاب هتك أسرار الباطنية وكتاب نصرة الحق ، وكتاب لؤلؤة التفكر فى المواعظ والزواجر ، والسيد الحسين بن الهادى الحسنى الشجرى ، والشيخ الحسن بن أحمد المعروف بالساكت ، والشيخ الخليل بن ظفر الاسدى مؤلف كتاب الانصاف والانتصاف ، وكتاب الدلائل ، والسيد داعى بن الرضا بن محمدالحسينى صاحب كتاب آثار الابرار وأنوار الاخيار ، والسيد أبو محمد زيد ابن على بن الحسين الحسينى قرأ على الشيخ الطوسى ، والشيخ سالار بن عبد العزيز الديلمى صاحب كتاب المراسم العلوية والاحكام النبوية ، والسيد الابهرى طالب بن على العلوى الحسنى ، والسيد عماد الدين عبد العظيم بن الحسين الحسينى نقيب سادات قزوين ، والشيخ غانم بن

على بن أبى غانم الجوانى ، والشيخ غازى بن أحمـــد بن أبى منصور الساماني مصنف كتاب النور وكتاب المفاتيح وكتاب البيان ، والسيد الراوندى ضياء الدين بن على الحسنى الراوندى مؤلف كتاب ضوء الشهاب فى شرح الشهاب وكتاب مقاربة الطيبة ، والشيخ أبو على الفضل الطبرسى صاحب مجمع البيان فى تفسير القرآن ، والسيد على بن محمد المرتضى الديباجى ، والشيخ يوسف صاحب الحدائق ومؤلف كتاب الدرر النجفية وكتاب الشهاب الثاقب وكتاب أعلام القاصدين وكتاب لؤلؤة البحرين وغيرها .

والشيخ محمد صالح المازندرانى ، والمجلسى الشيخ محمد باقر صاحب موسوعة بحار الانوار ، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ، والشيخ مرتضى الانصارى والسيد محمد بن عقيل ، والشيخ حسن المقمقانى ، والميرزا حسن الشيرازى والشيخ كاظم الخراسانى ، والشيخ محمد تقى الشيرازى قائد ثورة العشرين وبطل الجهاد ضد الاستعمار فى العراق ، والميرزا محمد تقى النورى والسيد محمد العيناتى ، والسيد محمد سعيد الحبوبى المجاهد ضد الاحتلال الانكليزى ، والسيد محمـــد حسين الطباطبائى صاحب كتاب الميزان فى تفسير القرآن ، والشيخ محمد دبوق والسيد جواد مرتضى الحسينى والسيد كاظم اليزدى صاحب العروة الوثقى والسيد محمد ابراهيم العاملى مؤلف كتاب (قاطعة الخصام فى استمرار المتعة فى الإسلام) والميرزا ابراهيم السلماسى والسيد ابراهيم النقوى صاحب كتاب نور الأبصار فى أخذ الثار وكتاب (أمل الآمل فى

مشكلات المسائل) والسيد ابراهيم المحلاتى صاحب (لئالئ الأحكام) فى الفقه وشرح زبدة الأصول والشيخ ابراهيم آل عز الدين العاملى والسيد محمد ابراهيم الخوانسارى والشيخ أبو تراب الكلباسى والسيد أبو تراب الزنجانى والسيد أبو تراب الدربندى والميرزا أبو الحسن عماد الشريعة والسيد أبو القاسم الكاشانى والشيخ محمد باقر الطبسى والسيد حسن الصدر مؤلف كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) والمجاهد الشيخ محمد جواد البلاغى والحكيم المتأله الشيخ محمد حسين الاصفهانى والسيد البروجردى والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائرى والشيخ عبد الكريم الزنجانى والسيد أبو القاسم الخوئى الموسوى وآية الله العظمى المرجع الاسلامى الأعلى فقيه أهل البيت الذى انتهت اليه الزعامة الروحية السيد المحسن الطباطبائى الحكيم - أدام الله ظله الوارف - صاحب المؤلفات القيمة منها مؤلفه : مستمسك العروة الوثقى الموسوعة الفقهية الذى أصبح مصدراً فقهياً يتدارسه فطاحل أهل العلم (١) .

هذه حفنة يسيرة من مشاهير علماء الامامية من القديم إلى الحديث ذكرناهم ومؤلفاتهم للتدليل على عظمة تراث الشيعة فى العلوم الدينية ومن اشتغل بها ودرس مبادئها .

ولو أردنا إحصاء علماء الامامية لما أحصاهم إلا مؤلف ضخم بمجلدات ضخمة كما وضح ذلك فى المجلدات الأحد عشر التى ألفها شيخنا

(١) ليس لهذا التعداد للعلماء مصدر واحد نذكره ولكنها مأخوذة من مصادر كثيرة

المحقق المتتبع أغا بزرك الطهرانى وسماها (طبقات أعلام الشيعة) وذكر فيها علماء الشيعة فى أحد عشر قرناً .

ونكون بهذا قد استوفينا حظنا من ذكر تراث الشيعة الدينى ونعود لذكر تراثهم فى العلوم الدنيوية .

ولما ذكرنا العلوم الدنيوية على أنها اللغات والكيمياء والطب والفلك والرياضيات فسنذكر علماء الشيعة وتراثهم فى كل مجال من هذه المجالات على حدة وبشىء من الإيجاز .

اللغات

فى علوم اللغة المتشعبة المتعددة برز عند الشيعة العلماء اللغويون المشاهير فى النحو والأدب والعروض والصرف والبلاغة ، ومنهم أبو الأسود الدؤلى باعث علم النحو والخليل بن أحمد مبتدع علم العروض وصاحب كتاب العين وأبان بن عثمان اللؤلؤى الأحمر ، وابن السكيت يعقوب بن اسحاق السكيت وأحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم ، والحسين بن يزيد النوفلى ، وأبو بكر بن دريد الأزدى ، والحسن بن خالويه ، وأبو الحسن الكاتب الملقب بالقنائى ، ومحمد بن سلمة اليشكرى ومحمد بن جعفر القزاز ، وأبو الفضل محمد بن أحمد الصابونى الجعفى صاحب كتاب الفاخر فى اللغة ، والشيخ قطب الدين الرازى ، والشيخ عماد الدين يحيي الكاشى ، والسيد بدر الدين الأعرج الحسينى مؤلف

كتاب المقنع ، وكتاب (مقنع الطلاب فيما يتعلق بكلام الأعراب) والصاحب بن عباد والحسين بن محمد الخالع النحوى المعروف .

الكيمياء

أما تراثهم فى علم الكيمياء ورجالاتهم ومؤلفاتهم فنذكر على سبيل المثال انهم توصلوا لمعرفة الصودا الكاوية وماء الذهب وحامض النتريك وحامض الكبريتيك الذى سموه (زيت الزاج) إذ قطروه من الشبه . ومن علمائهم فى الكيمياء جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق ، ومنهم أبو بكر الرازى مؤلف كتاب خواص الأشياء وكتاب فى أثقال الأدوية المركبة وأوزانها وكتاب الأسرار فى الكيمياء الذى يدرس فى جامعات أوربا اليوم ، وكتاب سر الأسرار . وثم ابن مسكويه والطغرائى والبيرونى والمجريطى والجلدقى وغيرهم كثير ومؤلفاتهم لا تعد ولا تحصى فى هذا العلم .

الطب

أما تراثهم فى علم الطب ومشاهير أهل هذا العلم من الشيعة وما خلفوه فنذكر منهم ما نستطيع ذكره للاستشهاد وليس للإحصاء فنهم

أبو بكر الرازى الشهير الذى ربط بين الطب والكيمياء والمسمى جالينوس العرب ومؤلف كتاب الجدرى والحصبة وكتاب الحاوى وكتاب المنصورى عدا مؤلفاته فى العلوم الأخرى .

ومن علماء الشيعة فى الطب أبو على بن سينا الذى هو أشهر من التعريف والملقب بارسطو الاسلام ، وهو الذى عرّف مرض شلل الوجه والتهاب الحيزوم وخراج الكبد وداء الجنب وأشار الى عدوى السل الرئوى وكشف أسرار (الانكلستوما) المعروفة اليوم وسماها الدودة المستديرة ومنه أخذ اكتشافها العالم الايطالى (دوبيني) بعد قرون ، وكتاب ابن سينا فى الطب المسمى (القانون) أشهر كتاب طبي تدرسه جامعات الغرب اليوم .

ومن علماء الشيعة فى الطب الحسن بن فضال مؤلف كتاب الطب وأبو النضر محمد بن مسعود العياشى التميمى ، ويعقوب بن اسحاق الكندى الذى اشتغل بالطب وألف فيه ولكن شهرته فى الفلسفة أكثر ووضع فى الطب خمسة وعشرين مؤلفاً ، وأبو زيد بن سهل البلخى صاحب كتاب معالجة الأبدان والأنفس ، وابن مسكويه مؤلف كتاب (الأشربة والأدوية المفردة) .

الفلك

أما آثار الشيعة وتراثهم فى الفلك فلهم فيه القدم الراسخ ورجالهم فيه عظماء ، وفطاحل علمائه مثل البيرونى صاحب كتاب الاصطرلاب فى الفلك والسجزى مستنبط الاصطرلاب الزورقى المؤكد لحركة الارض وأبو اسحاق الفزارى صاحب كتاب العمل بالاصطرلاب ذوات الحلق ، وكتاب العمل بالاصطرلاب المسطح ، وأبو حنيفة الدينورى ، وكتاب الأنواء والبلخى شـــارح كتاب السماء والعالم لأرسطو ومؤلف كتاب صور الأقاليم وكتاب ما يصح من أحكام النجوم ، والقصرى وابن شعيب البغدادى والفريضى ورضى الدين القزوينى والعلامة محمد باقر المجلسى الذى أفرد للفلك مجلداً من كتابه بحار الأنوار سماه السماء والعالم وعالج فيه شيئاً من العلوم الفيزياوية فذكر تقعر وتحدب المرايا والعدسات والانعكاس والانكسار فى الأشعة وزوايا الانعكاس ، ومحمد بن عبدالله البازيار مؤلف كتاب الأهوية وكتاب (القرانات وتحويل سنى العالم) ، ومحمد بن حسين الحسينى المرعشى مؤلف الكوكب الدرى فى معرفة التقويم ، وكتاب مواقع النجوم فى الهيئة ورسالة فى استخراج الكسوف والخسوف ومحمد بن أبى عمير وأحمد بن محمد بن طلحة صاحب كتاب النجوم وابن نافع وأبو جعفر المنجم وغيرهم كثير .

الرياضيات

أما تراث الشيعة فى علم الرياضيات فلقد ظهر منهم فى الرياضيات العلماء الأفذاذ مثل أحمد بن يوسف بن ابراهيم المصرى كاتب آل طولون مؤلف كتاب النسبة والتناسب ، وأبو سعيد أحمد بن محمد السجزى دارس قطوع المخروط وعلى بن أحمد العمرانى صاحب كتاب الجبر والمقابلة والكندى مؤلف كتاب (المدخل إلى الارتماطيقى) وكتاب (أغراض كتاب اقليدس) والدينورى صاحب (الجمع والتفريق) والسرخسى مؤلف كتاب الارتماطيقى فى الأعداد والجبر والمقابلة ، ومحمد بن ميسر البغدادى وأبو محمد الهمدانى وغياث الدين الشيرازى مؤلف كتاب الأساس فى الهندسة ورسالة الجهات الست وأبو العلاء المعمورى البيهقى ، ومهدى النراقى الحكيم ، وأسد الدين الجزينى العاملى والبيرونى مؤلف رسالة الجيب والوتر فى علم المثلثات فى الرياضيات ، ومؤلف كتاب مفتاح الحساب ، ونصير الدين الطوسى مؤلف كتاب قواعد الهندسة وكتاب فى الجبر والمقابلة ، والبهائى مؤلف كتاب بحر الحساب وكتاب جبر الحساب .

بهذا نكون قد استوفينا ذكر تراث الشيعة من الناحية العلمية إذ سردناه من وجهة العلم الدينى ومن ثم العلم الدنيوى وعرفنا كلا الوجهتين ومن برز فى علومهما من الأفذاذ نذكرهم للقدوة ولأن نتخذهم مثلا

للعلم وطلبته ونسعى للاقتداء بهم والحذو حذوهم والسير على منهجهم معرفين صلة مذهب التشيع وأهله بالعلم . وعرفنا أن قيادة العلم الدينى والدنيوى بيد المتشيعين وما ظهر من علماء رفعوا راية العلم والعرفان فى العهود الاسلامية إلا من المتشيعين لما فى هـذا المذهب من دوافع وحوافز تدفع بأهله نحو العرفان الكامل ومن ثم الايمان بعد العرفان ؟

الفصل الخامس

تراث الشيعة

من الناحية الحضارية

قبل الخوض فى تراث الشيعة الحضارى لابد لنا أن نعطى للتراث الحضارى معنى ونرسم له صورة نطبع على لوحها تراث الشيعة الحضارى بما امتاز به واتصف فيه وعرف عنه .

فالتراث الحضارى لأى أمة أو ملة هو ما قام على يدها من بلدان ذات عمران ومن جامعات تنفح بالعرفان ومن أعمال ومآثر وماخلفته إلى اليوم من وسائل تخدم الحضارة الإنسانية وتهب المعطيات الضخمة الحية للمجتمع الإنسانى كله فى العلم والفن والحضارة والفلسفة وفى كل مجال وميدان .

فالمدن والجوامع والآثار القديمة والأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمدارس والمعاهد والمكتبات كل هذه دليل حضارى على رقى حضارة الأمة أو الملة أو الطائفة ، وعرض هذه الحضارة هو تقييم وجه التقدم فيها وإبراز صورة له ، وهذا هو معنى التراث

الحضارى الذى تناقش فى هذا الفصل و ليس موضوعنا التراث الحضارى الاسلامى بعامة و لكن نستخلص من التراث الحضارى الاسلامى عامة تراث الشيعة الحضارى وعسى أن يكون تراث الشيعة الحضارى هو التراث الحضارى الاسلامى كله إلا القليل .

ومن الأحسن لنا ونحن نحاول جهد الامكان وقدر المستطاع عرض الصورة بأجلى مظهر وعلى أصدق وجه أن نعرض تراث الشيعة دون الاتيان بذكر سواه و نترك للقارئ أن يجلو هذه الصورة ويتخيل ما عليه تراث الشيعة الحضارى من سعة وشمول وعمق ودقة ورسوخ وامتداد .

وتراث الشيعة كأول مظهر يتميز بذكرنا لدولهم أولا وقبل كل شيء ، وفى خلال هذا الذكر نستعرض مخلفات هذه الدول الحضارية وآثارها لأن هذا أصدق العرض .

ونود أن نذكر دول الشيعة التى ظهرت فى العالم الاسلامى قبل البدء بسرد ما يمكن سرده عن كل دولة على حدة .

فدول الشيعة الهامة هى : الدولة الفاطمية بمصر ، والدولة الحمدانية فى سوريا ، ودولة الادارسة فى المغرب ، ودولة العلويين فى الديلم ، ودولة الصفويين فى ايران ، والبويهيين فى العراق ، ودولة بنى دبيس فى الحلة ، وإمارة بنى شاهين فى البطائح ، ودولة الافشاريين ، والدولة الزندية ، والدولة القاجارية ، وملوك بنى عقيل فى الموصل ، والدنابلة فى خوى ، وآل المشعشع فى الحويزة ، والمتشيعون من أحفاد هولاكو

والدولة العادلشاهية ، والنظامشاهية ، والقطبشاهية وهى فى بلاد الهند .

قامت هذه الدول على التشيع ودانت الله به وما تركته من تراث حضارى هو تراث الشيعة دون غيرهم ولهذا سنذكر هذه الدول ونتكلم عن كل واحدة منها بشيء من الإيجاز مع ذكر أشهر ملوكها ورجالها وأعمالها ومخلفاتها فى العلم والعمران والفن والأدب بل كلما يصح إطلاق كلمة تراث عليه جهد الإمكان .

التراث الحضاري للدولة الفاطمية :

قامت دولة الفاطميين فى شمال افريقيا ببلاد المغرب بقيام الثورة على ابراهيم بن الاغلب حاكم المغرب آنذاك وكانت هذه الثورة بقيادة أبى عبدالله الشيعى الإسماعيلى المذهب ، وهو الذى بشر بمذهب الإسماعيلية هناك وصارت له الرئاسة الدينية على معتنقيه ، وحينذاك سلم الحكم لأول الخلفاء الفاطميين الملقب بالمهدى عبيدالله بن محمد بن جعفر بن محمد ابن اسماعيل بن الإمام جعفر الصادق وكان ذلك سنة ٢٩٦ هـ وتلقب المهدى بأمير المؤمنين وتمكن من إزالة دولة الأغالبة ومحو آثارها ثم ساهم فى إزالة دولة الأدارسة واصطدم مع الأمويين فى الأندلس وأخضع المغرب الأقصى وتونس وقبائلهما لطاعته واستقر له بذلك الملك .

وهو بانى مدينة المهدية الواقعة جنوبى مدينة القيروان على بعد

ستين ميلا منها ، وهو بانى مدينة زويلة جوار المهدية وتوفى سنة ٣٢٢ هـ وخلفه ابنه محمد الملقب بالقائم بأمر الله الذى ثار عليه الخوارج وتوفى سنة ٣٢٣ هـ فتولى بعـــده ولده اسماعيل الملقب بالمنصور بانى مدينة المنصورية ومؤسس الاسطول الفاطمى وتوفى سنة ٣٤١ هـ فخلفه ابنه المعز لدين الله ، وكان المعز عالماً فاضلا دانت له البلاد وخضعت له العباد وتهيبه البربر واستتب على عهده الأمن ففكر بغزو مصر وأخذها من أيدى الأخشيديين فتهيأ للأمر سنة ٢٥٦ بانشاء الطرق وحفر الآبار ولما توفى كافور سنة ٢٥٧ سنحت له الفرصة لفتح مصر فوجه قائده جوهر الصقلى بقيادة الجيش فسار جوهر سنة ٣٥٨ متوجهاً لبرقة فخضعت له ثم الاسكندرية فدخلها دون مقاومة ولا قتال .

وهكذا بسط الفاطميون سلطانهم على مصر ، وكرس الفاطميون جهدهم لبناء كيان دولتهم الحضارى لينافسوا ما حولهم من دول على رأسها دولة العباسيين ببغداد (١) فاختط جوهر أساس مدينة كان يأمل منها منافسة بغداد أسماها القاهرة فلما اكتمل بناؤها اتخذها الفاطميون عاصمة ملكهم وأسسوا فيها الجامع الأزهر وعقدوا فيه حلقات التدريس فكانت تنفق على الدارسين فيه والمدرسين الجرايات والاعطيات كل ذلك قام على يد جوهر قائد المعز . أما المعز فلم يدخل إلى القاهرة إلا سنة ٣٦٢ وبذلك ازداد حكم الفاطميين توطيداً .

---

(١) كتاب الشيعة والتشيع لمغنية (ص ١٦٤) وكتاب عبقرية الفاطميين لمحمد حسن الأعظمى ومقدمته .

قال ابن الأثير (١) : «كان المعز عالماً فاضلا جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية» ، وخلف المعز ولده العزيز بالله الذى أنشأ جامع قرافة وقصر الذهب بالقاهرة وقصور عين شمس ودار الصناعة وقنطرة الخليج وجامع القاهرة وتوفى العزيز سنة ٣٨٦ هـ فخلفه ابنه الحاكم بأمر الله الذى تولى الخلافة وعمره ١١ سنة فكان الوصى عليه الخادم (برحوان) وحين تولى الحكم بعد بلوغه الخامسة عشرة وهو الذى أنشأ دار الحكمة وأشغل بها الفقهاء والمنجمين والقراء والنحاة واللغويين وألحق بها المكتبة الفاطمية الشهيرة المسماة دار العلم التى حوت نفائس الكتب وأمهاتها وأنشأ جامع القاهرة الثانى وبنى آخر فى الاسكندرية وجدد بناء الجامع الأزهر وأعتق ما يملكه من رقيق وهو الذى خفف الضرائب وحدد الأسعار ونظم المكاييل والأوزان ، وقتل الحاكم سنة ٤١١ هـ فخلفه ابنه الظاهر بالله وكان الظاهر سمحاً شاعت على عهده الحرية الدينية ومات سنة ٤٢٧ فخلفه ابنه المستنصر بالله وهو أطول خلفاء الإسلام سلطاناً دام حكمه ستين سنة وأربعة أشهر وتوفى سنة ٤٨٧ هـ وقام بعده ولده المستعلى الذى نازع أخاه نزار على الحكم ودارت بينهما فتن وحروب وتوفى المستعلى سنة ٤٩٥ . وإلى هنا انتهى عصر بناء التراث الحضارى الفاطمى الشيعى فلاحاجة لنا بذكر الآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد الذى خلعه صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٧ هـ وأزال الفاطميين ومذهب التشيع عن مصر .

---

(١) أخذناه عن الشيعة والتشيع عن ابن الأثير (ص ٧٩) الطبعة الثانية .

بعد ذكرنا الدولة الفاطمية ونحن كما أسلفنا ذكرنا الخلفاء وأعمالهم الحضارية فقط لنبرز صورة حية صادقة لما خلفوه من تراث .

وخلاصة القول عن تراث الفاطميين الحضارى ، ان الحضارة الفاطمية بلغت منتهاها ببناء المدن وتشييد المساجد وإنشاء دور الكتب والجامعات واهتمام بفنون الحكمة والعلوم والآداب وتوسيع التجارة وتحسين الزراعة وتنظيم الرى .

ولقد قال المستشرق (سيديو) فى تاريخ العرب العام ص ٢٤٤ طبعة ١٩٤٨ : « أخذ العرب يلقون أسطع الأنوار من القاهرة لا من بغداد حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والآداب والفنون والعلوم فى عهد الفاطميين بمصر كما ازدهرت فى عهد خلفاء بنى العباس الاولين وكانت عاصمة الفاطميين تنافس أجمل مدن آسيا » .

ونحن إذا ما استعرضنا دلائل تراث الفاطميين أصبحنا فى غنى عن قول المستشرق سيديو .

فهذه القاهرة وهذا الأزهر الشريف الذى يعد من أعظم الجامعات الإسلامية اليوم إن هو إلا تراث حضارى شيعى يشهد بالعظمة للتشيع عامة وللفاطميين خاصة .

قال الأستاذ عارف تامر فى ص ٢١١ ، ٢١٢ من كتاب عبقرية الفاطميين لمحمد حسن الأعظمى (١) فى موضوعه تعليقات وموضوعات

---

(١) قدم الأستاذ عارف تامر مقدمة لكتاب عبقرية الفاطميين وساهم بفصل آخر هو موضوعات وتعليقات فاطمية .

فاطمية قال بالحرف الواحد : «مما لا شك فيه ان العصر الفاطمى كان أشهر العصور الإسلامية فيما يتعلق بنشر الثقافة الإسلامية والعربية والعلوم الأخرى وتأسيس المعاهد التعليمية فى أرجاء الدولة الفاطمية»

التراث الحضاري للدولة الحمدانية :

الحمدانيون من قبيلة تغلب وبنو تغلب من أعظم بطون ربيعة . كان أبو الحمدانيين حمدان بن حمدون أميراً على قلعة ماردين فاستقل بها عن العباسيين سنة ٢٨١ هج فى خلافة المعتضد وأنجب سبعة أولاد منهم أبو الهيجاء والد ناصر الدولة وسيف الدولة وكانوا صادقى التشيع اثنا عشرية المذهب ضربوا اسم على وفاطمة والحسنين على السكة وأول أمرائهم أبى الهيجاء أمير الموصل الذى توفى وترك ابنه ناصر الدولة أميراً عليها ، ولما رأى الحمدانيون ضعف الدولة العباسية وانها شلو تقاسمه البويهيون والاخشيديون مصر وسوريا والفاطميون افريقيا الشمالية ، والأمويون الأندلس ، والسامانيون خراسان ، والقرامطة فى البحرين والبريدى فى واسط والبصرة .

فى هـذا الظرف من حياة الدولة العباسية أى فى سنة ٣١٧ وما بعدها يهرب الخليفة المتقى من البريديين ويلتجىء لأمراء بنى حمدان فى الموصل فيؤلف ناصر الدولة جيشاً كبيراً ويزحف به على بغداد ومعه

الخليفة وأخوه سيف الدولة فخافهم البريدى وعاد لواسط فتبعه سيف الدولة وانتزعها منه وعاد سيف الدولة بعد ذلك للموصل وتوجه منها لفتح حلب كل ذلك بفضل رجاحة عقله وسعة علمه وفضله .

قال الثعالبي فى يتيمة الدهر : « كان بنو حمدان ملوكا أوجههم للصباحة وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ، ويقال انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر » .

ففى سنة ٣٣٣ هج استولى على حلب وملكها وهزم عسكر الاخشيديين حتى ملك سوريا بأجمعها وقاتل الروم وفتح حصونهم فعظم فى أعينهم شجاعة العربى ووفاء العربى وهو قاتل قسطنطين بن الدمستق وكان حول سيف الدولة مشاهير الشعراء كالمتنبى والسرى الرفاء والنامى والزاهى والببغاء والوأواء الدمشقى وأبوفراس وأبو عثمان وصنف أبو الفرج الاصفهانى لسيف الدولة كتابه الشهير (الأغانى) فكان عهده عهد علم وأدب وشجاعة وكرم ، وهو الذى عمر مشهد الدكة قرب حلب وبنى مدينة الحدث ، وتوفى سيف الدولة سنة ٣٥٦ هج فخلفه ابنه سعد الدولة أبو المعالى شريف بن سيف الدولة ، وفى سنة ٣٥٨ هج استولى قرغويه غلام سيف الدولة على حلب وبهذا انتهى حكم بنى حمدان وزال سلطانهم .

ونحن إن نذكر الحمدانيين وتراثهم الحضارى فلا نذكر إلا سيف الدولة الذى بسط كفه للعلم والعلماء والأدب والأدباء فخلف تراثاً حضارياً عظيما تفخر به أمة العرب إذ دفعت جوائزه الضخمة الشعراء للتبارى والتسابق والعلماء للتزاحم والتنافس فتورثنا منهم وعنهم هذا التراث الحضارى فى كل ميدان ومجال ومضمار .

التراث الحضاري لدولة الأدارسة في المغرب :

قامت الدولة الادريسية على يد إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط الزكى بن على بن أبى طالب .

وإدريس هذا أحد العلويين الذين نجوا بأنفسهم من واقعة (فخ) فلقد نجا وأخوه يحي وفر إلى مصر وكان على بريد مصر يومئذ رجل اسمه (واضح) يتشيع لأهل البيت فاتصل إدريس به فآواه وأكرمه وحمله بالبريد إلى المغرب الأقصى فنزل إدريس بمدينة وليلة واتصل بعامل العباسيين عليها اسحاق بن محمد بن عبدالحميد فأجاره وأكرمه وسلم له البلاد وخلع طاعة الرشيد وجمع القبائل لادريس فبايعته .

وهكذا قامت دولة الأدارسة سنة ١٧٠ هج فكانت أهم أعمال إدريس أن أسلم على يده خلق كثير من اليهود والنصارى من سكان بلاد تامسنا وبلاد تادلا وبلاد تلمسان ، فبنى المدن والجوامع الاسلامية

فى كل أرض وطأتها قدمه وتوفى إدريس سنة ١٧٧ هج وخلفه مولاه راشد حتى بلغ ابنه إدريس الثانى مبلغ الرجال فخلف أباه وتسلم الملك وهو حافظ للقرآن عالم فى تفسيره وفى الفقه والسنة والعربية وأشعارها وأمثالها فاستقام الأمر له واجتمع حوله عرب المغرب يشدون أزره فأسند اليهم المناصب وأعطاهم المراتب وبنى لهم مدينة فاس التى هى اليوم شاهد على عظمة بانيها بما فيها من معابد ومساجد ودور علم واتخذها عاصمة لملكه وكان ذلك سنة ١٩٤ هج وتوفى إدريس الثانى بانى مدينة فاس التى هى خير تراث حضارى لدولة الأدارسة فخلفه ابنه محمد بن إدريس ومن ثم على بن محمد فيحي بن محمد بن إدريس الذى بنى مسجد القرويين المعروف اليوم بجامعة القرويين وتوفى فخلفه ابنه يحي بن يحي وهو الذى على عهده زال سلطان الأدارسة بعد أن خلفوا التراث الحضارى الخالد الشاهد على عظمتهم وجلالة قدرهم وكبير اهتمامهم بالعلم والعرفان وبالبناء والعمران إذ شيدوا المساجد وبنوا الجامعات واختطوا المدن العظيمة الواسعة ونشروا الأمن وبسطوا العدل وضمنوا الرخاء ، فكانت دولتهم المثل الامثل للحكم الاسلامى الصالح لما تتميز به الادارســـة - عدا يحي بن يحي - من شدة التمسك بالدين والاعتصام بحبل القرآن والاهتمام بالعلم والعرفان والبناء والعمران ، فقامت على يدهم حضارة عربية مشرقة الوجه أصيلة العروبة إسلامية المحتوى والاطار .

التراث الحضاري لدولة العلويين في الديلم :

تأسست فى طبرستان على يد الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل ابن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب دولة العلويين سنة ٢٥٠ هج وكان الحسن جواداً كريماً سخياً عالماً فاضلا بنى المساجد وأكثر العطاء حتى كان يوزع ما يفيض فى كل سنة من مال على أهله ، ودام حكمه أكثر من ١٧ عاماً وخلفه الحسن بن على بن الحسن بن عمر بن على بن الحسين الاطروش ، وهو الذى دعا مجوس الديلم ووثنيها إلى الاسلام فأسلموا وبنى فى ديارهم المساجد والمعابد ودام حكمه ١٣ سنة وقتل سنة ٣٠٤ هج فخلفه الحسن بن القاسم الداعى واستولى على الرى وأخرج السامانيين منها واستولى على قزوين وزنجان وقم وأبهر ، وبوفاة الداعى اندثر الحكم العلوى وانحسر عن بلاد الديلم بعد أن تشهد اليوم جوامع ومعابد تلك البلاد على تراث قيم خالد فى الحضارة التى بقيت آثارها مدللة على مخلفات العلويين فى تلك الديار بالاضافة لنشرهم الاسلام ومعارفه وبثهم تعاليمه وأحكامه .

التراث الحضاري لدولة الصفويين فى ايران :

قامت دولة الصفويين سنة ٩٠٥ فى ايران على يد السيد اسماعيل ابن حيدر بن جنيد بن صفى الدين الذى ينتهى نسبه إلى الامام الكاظم موسى بن جعفر ﷺ واسماعيل هذا أول ملوك الصفوية والمؤسس لدولتهم لانه هو الذى جمع ايران بجيشه واستخلصه من تقاسم الامراء ووحدها تحت سلطانه واستولى على شيروان وتبريز وهمدان وكيلان وديار بكر ودخلت بغداد فى حكمه سنة ٩١٤ هـ وهاجمه الأتراك فانتصر عليهم زمن بايزيد وكرروا مقاتلته زمن السلطان سليم فدحروه .

أما أهم أعماله الحضارية ما قدمه من خدمات جليلة لإعمار المشهد العلوى فى النجف والمشهد الحسينى فى كربلاء وبنائه لحرم الكاظمين وتشييده لجامع الصفويين المعروف جوار الحرم الكاظمى وهذه آثار حضارية عريقة يفخر بها المسلمون .

واشتهر اسماعيل بحبه وتعظيمه للعلم والعلماء وتوفى سنة ٩٣٠ هـ ودفن بأردبيل فخلفه ابنه طهماسب ، ومن آثاره ترميم الحائر الحسينى وتوسيع صحنه وإصلاحه وتوفى سنة ٩٨٤ فخلفه اسماعيل الثانى وثم الشاه عباس الذى أسس لأول مرة العلاقات العلمية والعسكرية بينه وبين دول أوربا كفرنسا وإيطاليا وعمرانه وتراثه الحضارى أعظم

تراث خلفه الصفويون حضارياً إذ استقدم الخبراء فى أمور الصناعة والزراعة والتجارة وبنى لهم مدينـة خاصة وأعطاهم الحرية الدينية ، وبجهوده وعمرانه أصبحت مدينة اصفهان مدينة العجائب على ما فيها من معاهد ومعابد ومساجد عظيمة على غاية الفن وجلالة المظهر فاذا بها لا مثيل لها اليوم وهى خير دليل على تراث الصفويين الحضارى . وقد شق الطرق وعبدها وبنى الف خان لإيواء المسافرين دون مقابل ، تربط أنحاء مملـكته ، واهتم بالعلم والعلماء والفقهاء والحكماء فكثرت على عهده المؤلفات فى الفقه والحديث والأصول والأخلاق ، وقد جمع الرياضيين حوله وأسكنهم قصره ، وهو الذى حفر النهر المعروف فى النجف بنهر الشاه ، وهو الذى بنى المشهد العلوى على هندسته الموجودة والقائمة اليوم بهندسـة الشيخ البهائى وجلب لخزانتى أمير المؤمنين فى النجف والامام الرضا بخراسان التحف النادرة الثمينة التى هى اليوم أنفس الآثار وأعظم الـكنوز المعروفة .

فاصفهان التى عنها نتحدث فيها من الآثار الحضارية ما يحير الألباب وتخشع له الأبصار ففيها بناية (على قابو) التى تبدو من الخارج طابقين ومن الداخل سبعة طوابق وقبة مسجد شاه التى إذا صفق المصفق تحتها سمع الصدى مكروراً سبع مرات ، وفيها مسجد الجمعة الذى يحوى أشكالا من المنابر وأنواعاً مختلفة ، منها يمثل كل واحد من هذه المنابر عهد صنعه ، وفيها مئذنة منارة (جمجم) التى ان هزت اهتزت المنارة الاخرى المقابلة لها وثم يهتز البناء بأجمعـه ، وفيها البركة

(چهل ستون) ذات العشرين عموداً التى تظهر فى المياه فى أى زاوية وقفت من زوايا البركة وفيها ميدان (شاه) وفى اصفهان المدرسة السلطانية (جهار باخ) هذه التى بناها الشاه حسين لتكون جامعة دينية تدرس اللاهوت والعلوم الدينية والفلسفة والطب والفلك وسائر العلوم. وهناك المياه الأزلية الساخنة والجسور القديمة.

هذه كلها دلائل تراث حضارى قيم هو من تراث الشيعة الحضارى المليء بالعظائم والجلائل من الآثار والمآثر الخوالد.

التراث الحضاري لدولة البويهيين في العراق :

كان قيام دولة بنى بويه الديالمة على ساحل بحر الخزر فى بلاد فارس وكرمان وخوزستان. وأول الأمراء البويهيين أبوالحسن على ابن بويه الملقب بعماد الدولة الذى لقب بأمير الأمراء من قبل العباسيين وتوفى بشيراز، وخلفه أخوه الحسن بن بويه ركن الدولة وتوفى، فخلفه أخوه أحمد بن بويه معز الدولة وثم عضد الدولة وهو الذى بجهوده أصبح للبويهيين تراث حضارى إذ اهتم بإعمار بغداد وإعمار المشهدين العلوى والحسينى وأصلح الطريق بين مكة والعراق وأجرى على الفقهاء والمحدثين والعلماء والمفسرين والنحاة والنسابين والشعراء والمهندسين والأطباء والرياضيين جرايات عظيمة وأسس البيمارستانات

والسد المعروف بسد الامير قرب أنقاض اصطخر ، وكان عضد الدولة عالماً بالعربية وقصده الشعراء كأبي الطيب المتنبي وابن الحجاج والسلامى وغيرهم ، وألف له الصابي كتاب (الناجى) والشيخ أبو على الفارسي كتاب (الايضاح والتكملة فى النحو) ، وتوفى بعد حكم دام ٣٤ سنة ووفاته سنة ٣٧٢ هج ودفن فى النجف وخلفه ابنه عز الدولة وثم صمصام الدولة ، وشرف الدولة ، وبهاء الدولة ، وسلطان الدولة ، وجلال الدولة ، ومشرف الدولة ، وقوام الدولة ، ومؤيد الدولة ، ونخر الدولة ، ومجد الدولة .

وكان لهم تراث حضارى خالد ذكرناه فى ذكرنا لسلسلة أعمال أمرائهم كبناء المدارس والمعابد وعمارة المسجد والحرم العلوى والمشهد الحسيني مما أوجب علينا ذكر خدماتهم ونسبتها فى تراث الشيعة الحضارى موضوع البحث .

التراث الحضاري لبني دبيس (١) (بني مزيد) فى الحلة :

تسمى الدولة العربية التى قامت على ضفاف الفرات سنة ٤٠٣ هج على يد على بن مزيد الأسدى من قبيلة بنى أســـد العربية الشيعية المعروفة المشهورة .

(١) يسمون بنى دبيس نسبة لمؤسس دولتهم الثاني دبيس بن على ويسمون بنى مزيد نسبة لجدهم الأعلى مزيد .

إذ ولى سلطان الدولة البويهى على بن مزيد البلاد الفراتية بين البصرة وواسط والأهواز ، وتوفى على فخلفه ابنه دبيس بن على بن مزيد وأذن له سلطان الدولة فى ولايته ثم أمر دبيس بعدم ذكر اسم القائم العباسى فى الخطبة ، وقد تبارى الشعراء فى مدح دبيس لمابذل لهم من العطاء وما جمع من العلماء والفقهاء وشجع طلاب العلم فقال أحد الشعراء يمدحه :

سألت الندى والجود حيان أنتما ... وهل متما من بعد آل محمد
فقالا نعم متنا جميعاً وضمنا ضر ... يح وأحيانا دبيس بن مزيد

وتوفى دبيس فخلفه ابنه أبوكامل منصور بن دبيس الذى استقرت له الأمور واستتب له الأمن وتوفى سنة ٤٧٩ فخلفه ابنه سيف الدولة صدقة بن منصور وكان جواداً شجاعاً ، وما خلفه من تراث هو أعظم تراث حضارى لبنى دبيس إذ اختط مدينة الحلة وبناها وبنى فيها الدور الضخمة والشوارع الفسيحة وأسكن فيها قواده والعلماء والفقهاء والفضلاء فكانت ولا تزال مدينة لبنى دبيس بفضل الانشاء والتأسيس إذ جعلوها محجة أهل العلم والأدب وطلاب المعرفة وخاصة الدينية منها فهاجر لها العلماء من بغداد والكاظمية ومن الكوفة والبصرة وكل الأطراف ، وأجرى لهم بنو دبيس الجرايات والاعطيات .

وبعد صدقة هذا تعاقب بنو دبيس على الامارة فخلفه نور الدين ابن دبيس بن صدقة ثم صدقة بن دبيس فعلى بن دبيس الذى على عهده انقرضت دولة بنى دبيس بعد أن تركت من التراث الحضارى الخالد مدينة الحلة الفيحاء وأعظم بهم من تراث .

التراث الحضاري لدولة بني شاهين في البطائح :

دولة بنى شاهين فرع للدولة البويهية دام ملكها ستين عاماً قامت فى منطقة البطيحة وأعمالها من العراق ، وكان أول أمرائها عمران بن شاهين (١) الذى هرب أول الأمر للبطائح وجمع الناس حوله وقويت شوكته فاقطعه معز الدولة البويهى البطائح وثم حاربه . ومات عمران فخلفه ابنه حسن بن عمران وثم أبو المعالى بن حسن وانقرضت دولتهم وليس لها من تراث حضارى يذكر ولكن ذكرناها كدولة من دول الشيعة التى قامت وساهمت ولو بجزء يسير لبناء الكيان الحضارى الذى هو عنصر من تراث الشيعة بعامة .

التراث الحضاري لدولة القطبشاهية والنظامشاهية والعادلشاهية فى الهند

هذه الدول قامت فى الدكن من اقطاعات الهند وعاصمة العادلشاهية (بيجابور) وعاصمة النظامشاهية (أحمد نكر) وعاصمة القطبشاهية (كولكندة) ثم (حيدرآباد) الشهيرة المعروفة ببناياتها العظيمة واهتمامهم بالأمور العلمية والدينية والعمرانية كبناء المدارس والمعابد .

ومن ملوك العادلشاهية يوسف وإسماعيل وشاهى ملو، وابراهيم

(١) هو الذى شيد المسجد المعروف باسمه (مسجد عمران) الواقع فى الجهة الشمالية من الصحن الحيدرى فى النجف الأشرف عند مدخل الباب المؤدى لجامع الشيخ الطوسى

وعلى وابراهيم الثانى العادلشاهيين .

ومن ملوك النظامشاهية برهان وحسين ومرتضى وميران حسين واسماعيل وبرهان وابراهيم وبهادرشاه ومرتضى الثانى .

وأما سلاطين القطبشاهية فهم على وجمشيد وابراهيم ومحمد وعبدالله . وفى ذكرنا لهم تدليل على ما لهم من تراث حضارى قيم سيما بناء الجوامع وأشهر آثارهم جامع حيدر آباد الشهير .

فى ختام هذا الفصل لابد لنا من الاشارة إلى جوانب أخرى من تراث الشيعة الحضارى . فبعد أن ذكرنا أن القاهرة وجامعها الأزهر الشريف وفاس وجامعة القرويين فيها والمهدية فى تونس والحلة فى العراق وإصفهان وعجائبها الكثيرة هى من خدمات الشيعة للحضارة الاسلامية

لابد لنا من ذكر مدينة العلم والعرفان بل المدينة التى هى جامعة علمية بأجمعها وهى مدينة النجف الأشرف التى فيها تراث حضارى هو آية فى عظمته وهو خيرة تراث الشيعة الحضارى إذا ما افتخروا .

ففيها عمارة المشهد العلوى التى يغشى ضوء قبتها الأبصار وفيها البنايات والمخلفات الأثرية والكنوز والتحف العجيبة الغريبة عدا مافيها من مناهل فياضة بالعلم مليئة بالعرفان مشحونة بروح بناءة فى كل مضامين الحضارة عمراناً وفناً وعلماً وأدباً .

ولا ننسى أن نعد بغداد التى بناها العباسيون من تراث الشيعة الحضارى لما لعظماء الشيعة وعلمائهم من سهم وافر فى إشادة صرحها وإرساء قواعد عزها وبناء مجدها الحضارى التالد . ونترك للقارىء أن يحكم على هذا التراث الضخم بعد أن يتفحص ويمحص عرضنا الموجز هذا ويدقق نظره فيه ؟

الفصل السادس

تراث الشيعة

من الناحية الادبية

أرسل الله بالحق رسوله المصطفى لأمة لسن وفصاحة وبلاغة وشجاعة وأمده بخوارق المعاجز وعظيم الآيات لإثبات نبوته وتصديق دعوته فكان القرآن آية المعاجز المحمدية التى أمد الله بها رسوله لما انفرد به من اسلوب بلاغى ما داناه ولا يدانيه اسلوب المخلوقين ، فكانت بلاغة القرآن مولدة للبلاغة عند رسول الله ﷺ فكان له الاسلوب المميز والنهج الخطابى المستلهم من الكتاب والمنبعث عنه والمستشهد به

ومن ثم أصبح هذا الطابع هو الغالب على أدب أهل ذلك العصر وما بعده ومع أن الشعر كسدت سوقه فى عصر صدر الإسلام لتأثر الناس بالقرآن وانبهارهم به فانه بعد ذلك عادت له قيمته وعظم شأنه واتسع نطاقه ليضم فنوناً مستجدة وأبواباً مستحدثة ليست من أبوابه فى الجاهلية فمديح الخلفاء والدفاع عن الدين والذود عن الرأى العقائدى والنقائض وغير ذلك من أبواب استجدت فى الأدب عامة وفى الشعر خاصة .

وأصبح الشعر تراثاً تفاخر به أمة العرب بعد الإسلام كما كانت تفخر به فى الجاهلية لأنه يدل على رقيها الفكرى وسموها فى العاطفة وتوسعها فى الخيال إذ كان شعرها اللغة الحية القادرة على التلاعب بالعواطف والمتمكنة من تهييج الشعور إذ كان الشعر يخرج عن القلب ليلج فى القلب حسب الاصطلاح (من القلب إلى القلب دليل) .

وإذا كان تراث الأمة الأدبى دليلا على عظمتها وجلالتها بات من المحتم علينا ونحن نثبت للشيعة تراثهم فى كل مضمار أن نذكر تراثهم الأدبى ليتبين القارئ ويتعرف على أدباء الشيعة المشاهير (١) .

فمن شعراء الشيعة النابغة الجعدى وكعب بن زهير بن أبى سلمى ويقال عن لبيد بن ربيعة وعامر بن واثلة وكثير عزة واسحاق وعبدالله إبنا غالب الأسديان وأبو الأسود الدؤلى والكميت بن زيد الذى كانت له المكانة السامية بين شعراء القرن الثانى الهجرى وهو القائل فى بيعة الغدير :

ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا
فلم أر مثله رزءاً عظيماً ... ولم أر مثله حقاً أضيعا

وهو صاحب البائية المشهورة :

(١) لم يكن ذكرنا لهؤلاء الشعراء لمدحهم علياً فحسب ، ففيهم من لم يمدحه ولكن نذكر منهم من كان صادق الولاء لعلى قال فيه أولم يقل ، إذ لوكان لمجرد المدح لذكرنا حسان بن ثابت وعمرو بن العاص وغيرهم ، ولكن نذكر الشيعة فى العقيدة .

طربت وماشوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منى وذو الشيب يلعب

ومنها :

فمالى إلا آل أحمـــد شيعة وما لى إلا مذهب الحق مذهب

وتوفى الكميت سنة ١٢٦ مقتولا بالكوفة على يد الأمويين فكان عمره ٦٦ سنة .

ومن أبنائه المستهل وهو من شعراء الشيعة المعروفين أيضاً .

ومن مشاهير شعراء الشيعة السيد الحميرى المولود بعمان سنة ١٠٥هـ والذى كانت له المقدرة الشعرية الفائقة فى مجال الدفاع عن مذهب التشيع وتأييده بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى ضمنها شعره فهو الذى اشتهر شعره بالصراحة التامة دون غيره من شعراء الشيعة الذين ألزمتهم التقية جانب التخفى والتستر ومن شعره فى مدح أمير المؤمنين على عليه السلام قوله :

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسؤول

إن على بن أبى طالب على التقى والبر مجبول

وانه كان الامام الذى له على الأمة تفضيل

يقول بالحق ويعنى به ولا تلهيه الأقاويل

وقال يصور الحديث المروى فى الأغانى ج ٧ ص ٢٥٩ : إن النبى صلى الله عليه وآله كان ساجداً فجاء الحسنان وجلسا على ظهره فلما قاما انتهض النبى من سجوده فجلسا فقال عمر (رض) : نعم المطى مطيكما ، فقال النبى ونعم الراكبان هما فيقول السيد الحميرى فى ذلك :

أتى حسن والحسين النبي   وقد جلسا حجره يلعبان
ففـــداهما ثم حياهما   وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه   فنعم المطية والراكبان

وهو الذى قال بعـد أن ترك مذهب الكيسانية وصار لمذهب الاثنى عشرية :

ولما رأيت الناس في الدين قدغووا   تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
مع الطيبين الطاهرين الألى لهم   من المصطفى فرع زكى وعنصر

وتوفى السيد الحميرى فى الرملة سنة ١٧٣ ﻫ وكان متضلعاً فى العلوم والمعارف والسير تشهد له بذلك مجالس مناظراته واحتجاجاته الـكثيرة وكان سريع البديهة حافظاً لـكثير من آيات القرآن الـكريم ويستشهد بها على الأكثر .

ومن شعراء الشيعة وأدبائهم همام بن غالب بن صعصعة الملقب بالفرزدق وهو الذى ناقض جريراً والأخطل ، وهو الذى أصبحت ميميته فى مدح الامام زين العابدين عليه السلام أشهر من نار على علم والتى يقول فيها ما يدل على صدق تشيعه ، منها هذين البيتين :

من معشر حبهم دين وبغضهم   كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم   أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

ومن شعرائهم أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الـكوفى الذى كان له حظوة عند الامام الصادق ومن شعره وهو القائل فى أهل البيت

وأنتم ولاة الحشر والنشر والجزا   وأنتم ليوم المفزع الهول مفزع

وأنتم على الأعراف وهى كتائب من المسك رياها بكم يتضوع
ثمانيــــة بالعرش إذ يحملونه ومن بعدهم فى الأرض هادون أربع

إن العبدى كان من أشهر شعراء عصره روى أبو الفرج الاصفهانى ج٧ ص ٢٢ ان السيد الحميرى كان يقول : (أنا أشعر الناس إلا العبدى) . ومن شعر العبدى فى إثبات فضل علىّ قوله :

لو أن عبـداً اتى الله بأعمال جميع الخلق براً وتقى
ولم يكن والى علياً حبطت أعماله وكبَّ فى نار لظى
وإن جبريل الأمين قال لى عن ملكيه الكاتبين مذ دنا
إنهما ما كتبا قط على الطهر علىّ زلة ولا خنـــا

ومن شعراء الشيعة قيس بن عمر بن مالك من بنى الحارث الملقب بالنجاشى وهو القائل مخاطباً معاوية :

واعلم بأن علىّ الخير من بشر شم العرانين لا يعلوهم بشر

وهو من صحابة على أمير المؤمنين شهد معـه حروبه وقال فيها خاصة الجمل وصفين .

ومن شعرائهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائى قال عنه الجاحظ (من شيوخ الشيعة فى الأدب فى العصور المتقدمة ومن أئمة اللغة ومنتجع الفضيلة والكمال) .

وكان أبو تمام يحفظ كما فى معاهد التنصيص أربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وانه طغى بشعره على خمسمائة شاعر فى زمانه وكلهم مجيد فحل ، وكان له فى أهل البيت شعر كثير

مثبت فى ديوانه المطبوع منه قصيدته الرائية الشهيرة (١) والتى يقول منها ممتدحاً أمير المؤمنين علياً ﷺ :

أخوه إذا عد الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وشد به أزر النبي محمد وسيف الرسول لا ددان ولا دثر

ومنها :

ويوم الغدير استوضح الحق أهله بضحياء ما فيها حجاب ولا ستر
أقام رسول الله يدعوهم بها ليقربهم عرف وينآهم نكر

ومن آثاره ديوان الحماسة الذى جمع فيه عيون الشعر ووجوهه من كلام العرب ورتبه على عشرة أبواب وديوان شعره الذى حوى شعره وكان أبو تمام معروفاً بالذكاء لما روى عن الصولى عنه انه مدح أحمد بن المعتصم بقصيدة فقال منها :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء أياس

فقال له الكندى وكان حاضراً : أتشبه الأمير بصعاليك العرب أو قال له الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق أبو تمام ثم رفع رأسه وقال

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلا شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فعجبوا من سرعة ذكائه وعظيم دهائه وحسن تخلصه حتى تنبأ الكندى عنه فقال : سيقتل الرجل ذكاؤه ومات بعدها بأيام فى الموصل وبها دفن سنة ٢٢٨ وفى رواية سنة ٢٣١ ورثاه الشعراء وبكاه الامراء

(١) موجودة فى ديوانه (ص ١٤٣) وعدد أبياتها (٧٣) بيتاً .

لما خلفه من تراث أدبى قيم وأثر خالد دائم .

ومن شعراء الشيعة ابن الرومى على بن عباس بن جريج الشاعر العبقرى ذو الشعر الذهبي المزين بدرر صيغت من معدن البلاغة وكان مطمح أنظار أهل البيت ، له فيهم مدائح عديدة منها قصيدته فى مدح أمير المؤمنين (١) التى يقول فيها :

يا هند لم أعشق ومثلى لا يرى ... عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبى للوصى مخيم فى الصد ... ر يسرح فى الفؤاد تولجا
فهو السراج المستنير ومن به ... سبب النجاة من العذاب لمن نجا
قال النبي له مقالا لم يكن ... يوم الغدير لسامعيه مجمجما
من كنت مولاه فذا مولى له ... مثلى وأصبح بالفخار متوجا

وقال ابن الرومى من قصيدته المثبتة فى ديوانه ج ٢ (ص ٢٤٣) فى أهل البيت راثياً بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على فيقول منها :

أكل أوان للنبي محمد ... قتيل زكى بالدماء مضرج
بنى المصطفى كم يأكل الناس شلوكم ... لبلواكم عما قليل مفرج
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم ... تضىء مصابيح السماء فتسرج

ومات ابن الرومى سنة ٢٨٣ هـ بعد أن خلف ديوانه الشهير وأسلوبه الفريد فى الشعر مع خلوه بعض الشىء من التشبيه النفيس

---

(١) لم أجدها فى ديوانه المصنف من قبل كامل كيلانى والمقدم له من العقاد المطبوع بمطبعة التوفيق بمصر ولكن وجدتها فى الجزء الثالث من الغدير الأمينى مثبتة فأذكرها لمحل الشاهد .

ولكنه من فطاحل شعراء عصره .

ومن شعراء الشيعة دعبل بن على بن رزين الخزاعى وهو من بيت علم وشرف وبرز فيهم اخوا دعبل على ورزين إذ كانا شاعرين مفلقين . أما دعبل فسمى بهذا الاسم لدعابة كانت فيه وهو من مشاهير الشعراء الموالين لأهل البيت والمتهالكين فى حبهم حتى عرف عن دعبل قوله : (أنا أحمل خشبتى على كتفى منذ خمسين سنة ولست أجد أحداً يصلبنى عليها) لأنه كان يكافح ويناضل دون أهل البيت ، إذ قال فيهم المدائح الكثيرة والمراثى المفجعة المثيرة ، وكان له فى الشعر قدم راسخ إذ كان البحترى يتعصب له ويفضله على شعراء عصره وقد ألف دعبل كتباً منها (كتاب الواحدة فى مناقب العرب ومثالبها) وكتاب طبقات الشعراء وهو من التآليف القيمة وهو رجل بالاضافة لذلك ثقة فى الحديث روى عنه أئمة الحديث كسفيان الثورى ومالك بن أنس إمام المالكية وغيرهم ، وشعره فى مدح أهل البيت أشهر من أن يذكر ورثاؤه كذلك ، لكننا ننقل له هذه المرثية الرائية الشهيرة التى يرثى بها أهل البيت ويخص منهم الحسين ﷺ فيقول منها :

لولا تشاغل نفسى بالألى سلفوا ... من أهل بيت رسول الله لم أقر
كم من ذراع لهم بالطف بائنة ... وعارض بصعيد الترب منعفر
أنسى الحسين ومسراهم لمقتله ... وهم يقولون هذا سيد البشر

وقال فى قصيدته التائية :

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات

ومنها :

أناس عليّ الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والفرقان والسورات

وتوفى دعبل سنة ٢٤٦ هـ قتيلا وأمر أن يكتب على قبره من منظومه :

أعد لله يوم يلقاه دعبل أن لا إله إلاه
يقولها مخلصاً عساه بها يرحمه فى القيامة الله
الله مولاه والرسول ومن بعدهما فالوصى مولاه

ومن مشاهير أدباء الشيعة وشعرائهم الأمير أبو فراس الحمدانى التغلبي المولود سنة ٣٢٠ والمتوفى سنة ٣٥٧ هـ وهو الأمير الشاعر الذى انفرد بجزالة الاسلوب ومتانة السبك ودقة التعبير وحسن الإبداع والتصوير مع فضل شعره الآخر وهو صدق عاطفته لأنه لم يكن مسخراً للتكسب والإبتذال ، بل كان صادق القول غير مدفوع بدوافع الجشع والطمع إضافة لما فى نفسيته الرفيعة من مآثر مجد بيته الحاكم وقبيلته الجليلة الآمرة ومن آثاره ديوانه المطبوع وما فيه من غرر القصائد وقال فى تعداد الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت .

شافعى أحمد النبي ومولاى على والبنت والسبطان
وعلى وباقر العلم والصا دق ثم الأمين ذو التبيان
وعلى ومحمـــد بن على وعلى والعسكرى الدانى
والامام المهدى فى يوم لا ينفع إلا غفران ذى الغفران

وقال فى قصيدته الميمية المثبتة فى ديوانه فى الدفاع عن أهل البيت المطهر والرد على معاديهم فيقول :

الحق مهتضم والدين مخترم وفيء آل رسول الله مقتسم

ثم يقول :

يا للرجال أما لله منتصر من الطغاة وما للدين منتقم
بنو على رعايا فى ديارهم والأمر تملكه النسوان والخدم

ثم يقول :

قام النبي بها يوم الغدير لهم والله يشهد والأملاك والأمم

ويقول منها أيضاً :

ليس الرشيد كموسى فى القياس ولا مامونكم كالرضا إن أنصف الحكم

وكان أبو فراس مكرماً جليلا حتى عند آسريه الرومان وكانت شاعريته تبعث المتنبي ليقول حينما سئل لماذا رق شعرك حين فارقت بنى حمدان يا أبا الطيب ؟ قال : كان شعرى هناك على ما كان لأن هناك قائلا :

أراك عصىّ الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

يعنى بذلك أبا فراس الحمدانى ، وكان أبرز شعراء سيف الدولة مع كثرتهم ، وفيهم المتنبي والسرى الرفاء والوأواء والصنوبرى وغيرهم

ومن شعراء الشيعة وبناة تراثها الأدبى أبوعبادة الوليد بن عبيد البحترى قال اليافعى : (كان البحترى أمير شعراء عصره ورئيس فصحاء دهره ويقال لشعره سلسلة الذهب وهو فى الطبقة العليا) .

ولد بمنبج سنة ٢٠٦ هج ومن شعره ما كان آية الوصف ودقة التعبير مع سلامة وعذوبة ترافق تراكيبه لتلاعب العواطف والمشاعر ولتهز القلوب مع ذبذبات الصوت المنشد تشهد بذلك سينيته فى وصف إيوان كسرى .

ومن جيد شعره فى رد له على الشاعر على بن الجهم الذى كان يذم علياً فيقول البحترى فى معرض الرد عليه بقوله :

إذا ذكرت قريش للمعالى   فلا فى العير أنت ولا النفير
لأية حالة تهجو علياً   بما افقت من كذب وزور

وقال فى هجاء ابن الجهم قصيدته البائية الشهيرة التى منها قوله :

إن وقفت سوقك أو أكسدت   بضاعة من شعرك الخائب
أنحيت كى تنفقها زارياً   على على بن أبى طالب

ومات البحترى سنة ٢٨٤ هج .

ومن مشاهير شعراء الشيعة الحسن بن هانئ أبو نؤاس المولود بالأهواز سنة ١٤١ هـ وصار مضرب المثل فى قول الشعر حتى قال فى ذلك القائل :

إن تكن فارساً فكن كعلى (١)   أو تكن شاعراً فكن كابن هانئ (٢)

وكان أبو نؤاس من الشعراء المجيدين ، له فى مدح أهل البيت مدح أشهره ما قاله فى حضرة المأمون يمدح الامام الرضا بعد أن طولب

(١) المقصود بعلى على بن أبي طالب عليه السلام .
(٢) المقصود أبو نؤاس .

بذلك فتأخر فقام ليقول :

قيل لى أنت أشعر الناس طرآ ... فى المعانى وفى الكلام النبيه
لك من جوهر القريض نظام ... يثمر الدر فى يدى مجتنيه
فلماذا تركت مدح ابن موسى ... والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه
قصرت ألسن الفصاحة عنه ... ولهـذا القريض لا يحتويه

وتوفى أبو نؤاس ببغداد سنة ١٩٥ هـ .

ومن شعراء الشيعة أبو الغوث الطهوى المنبجى القائل فى مدح أهل البيت وتعداد الأئمة الاثنى عشر منهم :

نجوم متى نجم خبـا مثله بدا ... فصلّ على الخابى المهيمن والبادى
عباد لمولاهم موالى عبـاده ... شهود عليهم يوم حشر واشهاد
هم حجج الله اثنتا عشرة متى ... عددت فثانى عشرهم خلف الهادى

ومن شعرائهم أيضاً عبـدالله بن أيوب الجزينى القائل فى مدح الامام الجواد :

يابن الوصى وصى أكرم رسله ... أعنى النبي الصادق الصديقا
ابن الثمانية الأئمـــة غرّبوا ... وأبا الثلاثة شرقوا تشريقا
إن المشارق والمغارب أنتم ... جاء الـكتاب بذكركم تصديقا

ومن شعرائهم أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى الـكوفى الملقب بالمتنبي الذى هو أشهر من أن يذكر فى إمارته للشعر العربى قديمه وحديثه وتشيعه وارد بلسانه حين عوتب فى عدم مدحه

لأمير المؤمنين على عليه السلام فقال :

وتركت مدحى للوصى تعمداً   إذ كان وصفاً مستطيلا كاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وهو القائل فى مدح سيف الدولة عند مروره بصفين :

يا سيف دولة ذى الجلال ومن له   خير البرية والأنام سمى (١)
فكأنه جيش ابن هند كثرة   حتى كأنك يا على على

ومن شعراء الشيعة أبو الحسن المهيار بن مرزويه الديلمى الشاعر الشهير ، ومن شعره فى آل رسول الله صلى الله عليه وآله قوله :

هذى قضايا رسول الله مهملة   غدراً وشمل رسول الله منصدع
وآله وهم آل الإله وهم   رعاة ذا الدين ضيموا بعده ورعوا
تضاع بيعته يوم الغدير لهم   بعد الرضا وتحاط الروم والبيع

ومنهم ديك الجن عبدالسلام بن رغبان الكلبى الحمصى ولد بحمص سنة ١٦١ هجـ ولم يفارق بلاد الشام ، ومن عظيم شعره فى المراثى مرثيته اللامية للحسين الشهيد نذكر منها قوله :

جاءوا برأسك يابن بنت محمد   مترملا بدمائه ترميلا
وكأنما بك يابن بنت محمد   قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا   فى قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما   قتلوا بك التكبير والتهليلا

---

(١) ظاهر فى البيت تعظيم على وتفضيله على الأنام بعد رسول الله وهذه عقيدة الشيعة وصرح بلفظ الوصى فى البيت السابق .

ومن شعراء الشيعة ابن هانئ الأندلسي واسمه محمد وهو من شعراء المغرب العربي ويسمى متنبي الغرب وله ديوان كبير وفيه شعره المختص بمدح أهل البيت فيقول :

باسياف ذاك البغي أول سلها أصيب علي لا بسيف ابن ملجم
وبالحقد حقد الجاهلية أنه إلى الآن لم يذهب ولم يتصرم

ومن شعراء الشيعة أبو محمد حسن بن هارون أو ابن محمد بن هارون الوزير المهلبي الذى وزر لمعز الدولة البويهي وله فى أهل البيت مدائح وشعره بديع الصنعة رقيق النسج .

ومن شعرائهم وارث زعامة آبائه الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام وهو من مفاخر العترة الطاهرة بعد الأئمة المعصومين وإمام فى العلم والفقه والأدب ، ورجل من رجال الدين الأفذاذ ، له التآليف الكثيرة والكتب الشهيرة ، ومن خيرة تراثه العظيم الخالد جمعه لنهج البلاغة بالاضافة لمؤلفاته الشهيرة الكثيرة التى أهمها ما سنذكره ، مثل كتاب حقائق التأويل فى متشابه التنزيل فى تفسير القرآن وكتاب معانى القرآن وكتاب تعليق خلاف الفقهاء وكتاب خصائص الأئمة وكتاب مجازاة الآثار النبوية ، وكتاب تلخيص البيان عن مجاز القرآن ، وكتاب انشراح الصدر فى مختارات من الشعر بالاضافة إلى ديوانه المطبوع الحاوى على شعره الفريد الذى نذكر منه افتخاره بنسبه العلوى فيقول :

إنى لمن معشر إن جمعوا لعلىّ　　تفرقوا عن نبي أو وصى نبي

ويقول من قصيدة يمدح بها أباه يوم الغدير :

غدر السرور بنا وكان　　وفاؤه يوم الغـدير

يوم أطاف به الوصى　　وقد تلقب بالأمير

وتوفى الشريف ببغداد سنة ٤٠٦ هجـ وكانت ولادته بها سنة ٣٥٩ هجـ

ومن شعراء الشيعة السيد أبو القاسم على بن الحسين بن موسى أخو السيد الرضى والملقب بالمرتضى علم الهدى وهو ذو شاعرية عظيمة وقدرة فريدة على النظم ، وله ديوان شعر مطبوع وهو مع قدرته على الشعر فله فى العلم والفقه وسائر العلوم قدم راسخ وتمكن واقتدار والتراث الذى خلفه مليء بالمفاخر والمآثر فله سبعة وثمانون مؤلفاً عدا ديوانه منها الشافى والملخص فى الأصول والذخيرة فى الأصول وغيرها

ومن جيد شعره فى مدح أمير المؤمنين على عليه السلام قوله :

عج بالغرى فان فيه ثاوياً　　جبلا تطأطأ فاطمأن به الثرى

واقر السلام عليه من كلف به　　كشفت له حجب الصباح فابصرا

ولو استطعت جعلت دار إقامتى　　تلك القبور الزهر حتى أقبرا

وتوفى السيد المرتضى سنة ٤٣٦ هجـ .

ومن شعراء الشيعة الأفذاذ الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة الذى كان من فطاحل شعراء عصره وله فى أهل البيت الشعر الرائق نذكر منه قوله فى أمير المؤمنين عليه السلام :

وقالوا علىّ علا . قلت لا　　فان العلا بعلىّ علا

ولكن أقول كقول النبي وقد جمع الخلق كل الملا
ألا إن من كنت مولى له يوالى علياً وإلا فلا

وقد ذكر له الخطيب الخوارزمى ص ٢٣٣ قصيدة فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام يقول منها :

ما لعلىّ العلى أشباه لا والذى لا إله إلا ه
مبناه مبنى النبي تعرفه وابناه عند التفاخر إبناه

ومن شعراء الشيعة ابن الحجاج الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر ابن محمد بن الحجاج النيلي البغدادى ، وله شعر خالد ومدائح فى أهل البيت منها قصيدته التى يقول فيها بمدائح أهل البيت ومنها :

يا صاحب القبة البيضاء فى النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفى
زوروا أبا الحسن الهادى لعلكم تحظون بالأجر والإقبال والزلف

ومن شعراء الشيعة داود بن القاسم البغدادى صاحب المدائح الشهيرة فى حق الإمام الرضا والجواد والهادى والعسكرى والحجة المنتظر(١) وابن هرمة القرشي ابراهيم بن على بن سلمة من شعراء الشيعة وكشاجم الرملي محمد بن الحسن بن الحسين بن السندى بن شاهك ، وعقبة ابن عمرو السهمى ومسلم بن قبة مولى بنى هاشم ، وجعفر بن عفان الطائى وغالب بن عثمان الهمدانى ، والأمير أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز السوسى ، والحسين بن أبى قتادة ، وأبو الشيص على بن محمد الملقب بابن بسام ، وأبو القاسم على بن اسحاق الزاهى ، وأحمد بن عبدالله المفجع

(١) رآهم واستمع لحديثهم وروى عنهم .

وأبو الحسن على بن محمد الأسترابادى ، والفصيحى والناشى والجرجانى والجوهرى والتهامى ومنصور بن الزبرقان ونصر بن أحمد البصرى وسبط بن التعاويذى ، وأبو الحسن محمد بن عبيدالله السلامى والخباز البلدى والطغرائى الاصفهانى صاحب لامية العجم ، وعز الدين الاقساسى وابن المبارية والخطيب الحصكفى ، والحيص بيص أبو الفوارس بن صيفى والأمير صدقة المزيدى وصفى الدين الحلى السنسبى والسيد حيدر الحلى والشيخ صالح بن الحاج مهدى الشمرى الكواز ، وجمال الدين الخليعى الذى يروى فى تشيعه صاحب البابليات الشيخ على الخاقانى ص ٢٩٢ حادثة غريبة قال فيها البيتين الشهيرين :

إذا شئت النجاة فزر حسيناً　　لكى تلقى الإله قرير عين
فان النار ليس تمس جسماً　　عليه غبار زوار الحسين

والسيد على بن طاوس مؤلف الكتب الشهيرة التى فاقت العد والحصر منها فلاح السائل وروح الأسرار ومصباح الزائر وربيع الألباب وغيرها ، ومحمد بن جعفر بن نما الحلى ، ومحمد بن حماد الحلى والشيخ مغامس بن داغر ، والسيد صالح الحلى الأعرجى ، والسيد رضا الهندى والشيخ حسن الفلوجى ، والشيخ حمادى نوح الحلى ، والسيد جعفر كمال الدين والسيد عبد المطلب الحسينى ، والشيخ مهدى اليعقوبى ، وعيسى بن فاتك الواسطى ، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن الكربلائى والسيد محمد سعيد الحبوبى والسيد محمود الحبوبى ، وأحمد الصافى النجفى والشيخ محمد على اليعقوبى ، والشيخ عبد المنعم الفرطوسى ، والشيخ على

الصغير ، والشيخ عبد المحسن الكاظمي المهاجر لمصر والمتوفى فيها ومحمد صالح بحر العلوم ومحمد مهدى الجواهرى .

نكتفى بهذا القدر من ذكر أعلام أدباء الشيعة مع ذكر مؤلفاتهم ودواوينهم ونماذج لشعرهم وخاصة فى المعتقد تثبيتاً منا لتشيعهم وتأكيداً على ولائهم الصادق لأهل البيت .

وبذكرنا لهؤلاء نكون قد سردنا للقارئ العزيز سرداً وافياً يرسم على ضوئه صورة واضحة المعالم لتراث الشيعة الأدبى فى القرون الماضية وليعرف أن راية الأدب العربى الإسلامى كانت بيد أعلام الشيعة ورجالهم فعسى أن يتخذ الخالف سيرة السلف وينهجوا نهجهم ويسلكوا سبيلهم والله الموفق وله الحمد ؟

الفصل السابع

تراث الشيعة
من الناحية الفلسفية

من المستحسن للباحث فى تراث الشيعة الفلسفى أن يضع لمعنى كلمة الفلسفة تعريفاً ننحدر منه إلى ذكر آثاره ومن ثم تراثه رجالا وأفكاراً ونحن فى معرض هذا البحث عن تراث الشيعة من الناحية الفلسفية لن نغفل أن نعرّف الفلسفة تعريفاً مناسباً .

فالفلسفة تعنى كما عرفها الفلاسفة الأقدمون « هى البحث عن الموجود من حيث هو موجود بقدر الطاقة البشرية وفى نواحى العلوم الإلهية والطبيعية والرياضية والمنطقية وغيرها » .

والفلسفة عموماً تشمل على نواحى عديدة أبرزها الفلسفة النظرية والفلسفة العملية والفلسفة الطبيعية وفلسفة ما وراء الطبيعة .

ولكل من هذه النواحى الفلسفية ميادين عديدة وشعب متشعبة فالفلسفة النظرية هى التى يقوم على أركانها التناظر العلمى والعقائدى لإثبات ما هو غير ثابت وتأكيد وجه ثبوتيته بدليل قاطع وبرهان ساطع والفلسفة العملية هى التى تتناول رأياً صائباً أو فكرة سليمة

فتخطط لتطبيقها وترسم خطى ذلك ليجتنى منها مطبقها الخير بأتم وجه

والفلسفة الطبيعية هى التى لا تعـــدو مظاهر الطبيعة وآثارها بعلومها المختلفة فكل علم يدخل تحت معنى الفلسفة الطبيعية .

فالفلك والطب والجبر والهندسة والحساب والمثلثات كل هذه العلوم تشملها الفلسفة الطبيعية .

أما الفلسفة التى تبحث فيما وراء الطبيعة فموضوعها هو الإلهيات وما يتصل بها من فكر وسواء كان فى الفلسفة القائمة على الإستدلال بالمقاييس المنطقية وهى ما تدعى بالفلسفة المشائية أو الفلسفة المستندة على الرياضة النفسية والمجاهدات والتى تسمى الفلسفة الاشراقية .

وفى هـــذه الميادين العديدة والفلسفات المتعددة برز العلماء المتفلسفون متناولين فى بحوثهم الفلسفية كل باب وسعهم طرقه وكل بحث مكنتهم الفرص من استقصائه حتى كان النبوغ الفلسفى ملازماً لاكثرهم والتآليف المتعددة شارة وعلامة لهم .

ولما كان موضوعنا من الفلسفة عامة والفلسفة الاسلامية خاصة هو الاقتصار على الشيعة فقط ، لنأخـــذ فلاسفتهم ونبين مؤلفاتهم وآثارهم للتدليل على تراث الشيعة الذى هو عين القلادة بالنسبة للتراث الاسلامى لما للفلاسفة الشيعة من مآثر ومخلفات .

فمشاهير العظماء من الفلاسفة هم من الشيعة ، لذا رأينا من الواجب ذكر فلاسفة الشيعة (١) وآثارهم لنضيفه لما أسلفناه من ميادين ونواحى

---

(١) ورد بهذا العنوان كتاب فلسفى ضخم للعلامة الشيخ عبدالله نعمة اعتمدناه مصدراً لهذا الفصل مع ما لدينا من مصدر .

لتراث الشيعة تاركين الحكم للقارئ المنصف على تراث الشيعة وخدمتهم للإنسانية عامة وللإسلام والمسلمين خاصة بما أسدوه من أياد بيضاء ففحت بطيب علومها وآثارها التى هى اليوم الينبوع الفياض لعلوم الغربيين والمصادر الموثوقة لبحوثهم واكتشافاتهم .

ومن عظماء فلاسفة الشيعة ومشاهيرهم ابراهيم بن حبيب بن سليمان بن سمرة بن جندب الفزارى الكوفى الذى كان منجما للمنصور العباسى ، وهو أول من عمل الاصطرلاب والمسطح وله المؤلفات الشهيرة الكثيرة منها كتاب تسطيح الكرة ، وكتاب القصيدة فى علم النجوم ، وكتاب العمل بالاصطرلاب ذوات الحلق ، وكتاب العمل بالاصطرلاب المسطح ، وكتاب المقياس للزوال ، وكتاب الزيج على سنى العرب .

ومن فلاسفة الشيعة أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى الصنعانى الذى له قدم السبق فى علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعيات وعلوم العرب كالتأريخ والأدب وله المؤلفات الجليلة مثل كتاب صفة جزيرة العرب فى التأريخ ، وكتاب سرائر الحكمة فى الفلك ، وكتاب اليعسوب فى السهام والرمى وكتاب (الاكليل) وكتاب الجوهرتين وكتاب الأيام .

ومن فلاسفة الشيعة محمد بن على بن النعمان بن أبى طرفة البجلى الكوفى الذى رأى الأئمة زين العابدين والباقر والصادق ودرس عليهم وله المؤلفات الشهيرة منها كتاب المعرفة وكتاب افعل لا تفعل ،

وكتاب الامامة ، وكتاب مجالسة مع أبي حنيفة والمرجئة ، وكتاب افعل لم فعلت ، وكتاب الرد على المعتزلة فى إمامة المفضول وهو المعروف عند الشيعة بمؤمن الطاق وعند سواهم بشيطان الطاق .

ومن فلاسفتهم أبو الريحان البيرونى الذى كان وحيد أهل زمانه فى العلوم الرياضية والفلكية وغيرها ، قال عنه الدكتور (سارطون) بأن البيرونى من أكبر علماء الاسلام .

والبيرونى صاحب آراء فلسفية عديدة وآراء علمية هامة ، فمن آرائه (ان شعاع النور يأتى من الجسم المرئى إلى العين) يؤيده بذلك ابن الهيثم وابن سينا ومن آرائه : إن الأرض تدور حول نفسها وعلى محورها ، وهو الذى أجرى تجربة لحساب الوزن النوعى (١) وكانت طريقته هى وزن الجسم فى الهواء ثم وزنه فى الماء داخل وعاء مثقوب مخروطى الشكل ومن وزن الماء المزاح يعرف حجم الجسم وبقسمة وزن الجسم فى الهواء على وزنه فى الماء يعرف الوزن النوعى .

ومن مؤلفات البيرونى كتاب تجريد الشعاعات والأنوار ، وكتاب الاستشهاد باختلاف الأرصاد ، وكتاب الشموس الثاقبة للنفوس ، وكتاب تاريخ الهند ، وكتاب القانون المسعودى فى الهيئة والتنجيم ، وكتاب اختلاف الأقاويل فى استخراج التحاويل ، وكتاب مفتاح الهيئة ، وكتاب لوازم الحركتين ، وكتاب سر السرور ، وكتاب الجماهر فى معرفة الجواهر إلى غير ذلك من المؤلفات العديدة الضخمة

---

(١) تراث العرب العلمي ص ٢٧٨ .

العظيمة المنفعة والمليئة بالعلم والعرفان .

ومن فلاسفة الشيعة وأكابر رجال العلم الكونى فيهم هو جابر ابن حيان الذى اشتغل بالمنطق والفلسفة والكيمياء والرصد والفلك والميكانيك ، وكان له فى كل من هذه العلوم الاطلاع الواسع وخاصة فى الكيمياء لأنه أول من وازن فيها وهو ما يعرف اليوم بالمعادلة (١) وهو أول من استحضر حامض الكبريتيك بتقطيره من الشبه وسماه (زيت الزاج) ، واستحضر ماء الذهب وحامض النتريك واكتشف الصودا الكاوية وكربونات الصوديوم والبوتاسيوم واستعمل مركبات الزئبق فى تحضير الأوكسجين ، وله من العلوم العظيمة ما هو الأساس اليوم للعلوم المختبرية والصناعية كما فى صنع المفرقعات والسماد الصناعى والحرير الصناعى والصابون وعلم الأصباغ وهو ليس بالمستبعد عليه نيل هذه العلوم لأنه تتلمذ على يد الامام جعفر بن محمد الصادق ، وله رسائل أخذها عن الامام الصادق وهى مطبوعة اليوم وموجودة فى فرنسا بمكتبة باريس وفى المانيا بمكتبة برلين .

ومؤلفات جابر الشهيرة الكثيرة كتاب الاستتمام وكتاب التكليس وكتاب الاستيفاء وكتاب الجمع وهذه ترجمت إلى اللاتينية ، وكتاب الواحد الكبير ، وكتاب النور ، وكتاب الواحد الصغير ، وكتاب الشعر الموجودة منه نسخة بالمتحف البريطانى ، وكتاب الخواص وكتاب الدرة المكنونة ، وكتاب مصححات سقراط وكتاب مصححات

---

(١) الخالدون العرب .

افلاطون وكثير غيرها يقارب تعدادها المائة كتاب عدا الرسائل .

ومن فلاسفة الشيعة الأمير أبو القاسم الحسيني الفندرسكي مؤلف كتاب حقائق الصنائع وكتاب شرح كتاب المهارة وغيرها من الكتب العلمية والصناعية والفلسفية ، وكانت له آراء كثيرة تضمها كتب العرب والهنود والفرس وفي مواضيع متعددة .

ومن فلاسفة الشيعة أبو علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه الاصفهاني الملقب بالخازن (١) ، وكان من أهل العلم والعرفان فيلسوفاً متبحراً ويوافق ابن سينا في أكثر آرائه الفلسفية ، وله مؤلفات كثيرة أهمها كتاب أنيس الخاطر وكتاب الفوز الأكبر في علم الأخلاق ، وكتاب الفوز الأصغر ، وكتاب نور السعادة ، وكتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، وكتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، وكتاب ترتيب السعادات ورسالة في اللذات والآلام في جوهر النفس ، وكتاب طهارة النفس وغيرها أكثر من ثلاثين مؤلفاً .

ومن فلاسفة الشيعة المشاهير بنو نوبخت ابراهيم واسماعيل والحسن والفضل وهؤلاء من الفلاسفة المشاهير الذين برزوا من بني نوبخت ، ولهم المؤلفات الشهيرة والآثار العظيمة في الفلسفة والفلك وسائر العلوم مثل كتاب البلدان الكبير ، وكتاب الباه ، وكتاب النبات

(١) اعتمدنا في ذكره على كتاب فلاسفة الشيعة وكتاب تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام .

وكتاب جواهر العلم ، وكتاب القبلة والزوال ، وكتاب إصلاح المنطق وغيرها من مؤلفاتهم .

ومن فلاسفة الشيعة الفضل بن شاذان النيسابورى الأزدى الذى أخذ علمه عن الامام الرضا عليه السلام وهو كثير التأليف جليل التآليف ، له كتب جليلة نذكر منها كتاب الرد على الفلاسفة ، وكتاب الوعيد وكتاب الاستطاعة ، وكتاب معرفة الهدى والضلال ، وكتاب مسائل البلدان ، وكتاب محبة الاسلام ، وكتاب الايمان عدا كتبه الكثيرة فى الردود والملاحم والفضائل وغيرها .

ومنهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السجستانى وهو مؤلف كتاب برهان الكفاية وكتاب الأوائل وكتاب جامع جمع فيه ما ألفه من رسائل فى الاصطرلاب والأسمار والاختبارات وغيرها .

ومن المشاهير من فلاسفة الشيعة أبو بكر محمد بن زكريا الرازى المعروف بجالينوس العرب الذى كان من حملة العلم وأهل الفلسفة وله الآراء الفلسفية الهامة وهو الذى تولى رئاسة بيمارستان بغداد ، وكان يطبب الناس بعلمه النافذ ويدرس التلاميذ ويخرجهم حتى عرف تلاميذه بالطبقات لأنهم يتسلسلون فى المراتب الأدنى فالأدنى ، وكان يسمى ساعور البيمارستان العضدى الذى أنشأه عضد الدولة ، وهو من المساهمين فى بناء صرح الكيان الحضارى الإسلامى .

وللرازى المؤلفات الكثيرة العديدة منها كتاب الحاوى فى الطب وكتاب المنصورى المترجم إلى اللاتينية ، وكتاب الأسرار المترجم أيضاً

وكتاب الميكانيك ورسالة فى الحصبة والجدرى وكتاب هيئة العالم ، وكتاب المدخل فى المنطق ، وكتاب فى علة جذب المغناطيس للحديد ، وكتاب السر فى الحكمة وكتاب سر الأسرار فى الحكمة ، وكتاب قطعة من القول فى النفس والعالم ، وكتاب الطب الروحانى ، وشرح كتاب الرحمة لجابر ، وكتاب المناظرات بين أبى بكر الرازى وأبى حاتم الرازى وغيرها من الكتب الكثيرة .

ومن فلاسفة الشيعة أيضاً محمد بن محمد بن الحسن الطوسى المعروف بالخواجة نصير الدين الطوسى ، وهو من أعاظم العلماء والفلاسفة فى القرن السابع وأشهر من الف فيه . كان واسع الاطلاع فى المنطق والفلسفة والطبيعيات ، وهو أول من استعمل الحالات الست للمثلث القائم الزاوية ، وله من المؤلفات الكثيرة التى نذكر غيضاً من فيضها وهى كلها كتب قيمة ومراجع معتمدة فى علم الفلسفة والفلك والرياضيات ، ومنها كتاب تجريد الإعتقاد وكتاب التذكرة فى علم الهيئة وكتاب تجريد الهندسة ، وكتاب شرح إشارات ابن سينا وكتاب اختبارات النجوم وكتاب استخراج التقويم وكتاب جامع الحساب فى التخت والتراب ، وكتاب زبدة الادراك فى هيئة الأفلاك ، وكتاب تحرير المعطيات فى الهندسة ، ورسالة فى الحساب والجبر والمقابلة ، وكتاب تحرير المجسطى (١) وكتاب الثمرة ، وكتاب ظاهرات الفلك ، وكتاب المناظر ، وكتاب الأصول الموضوع ، وكتاب الكرة المتحركة

---

(١) المجسطى كتاب ألفه بطليموس اليونانى فى الهيئة وعلم الفلك والنجوم .

وكتاب تحرير الكلام ، وغيرها كثير من الكتب والرسائل التى نافت عن الثمانين مؤلفاً .

ومن فلاسفة الشيعة المشاهير محمد بن عبد الرحمان المشهور بابن قبة ، وهو من المؤلفين فى الفلسفة وسواها من العلوم ، وأشهر كتبه كتاب المستثبت ، وكتاب الانصاف ، وكتاب الامامة ، وكتاب المسألة المفردة والردود كتابان كتاب الرد على الزيدية وكتاب الرد على الجبائى .

ومن فلاسفة الشيعة الفيلسوف الشهير والمؤسس الأول للفلسفة بمعناها الحقيق أبو نصر محمد بن محمد الفارابى ، وهو الذى قال عنه أكثر المستشرقين الباحثين فى فلسفته أنه مؤسس الفلسفة والمقدم فيها والمرجع لأهلها . والفارابى مؤلف كتاب إحصاء العلوم الذى يعتبر أول دائرة معارف وجدت ولم يسبقه سابق ، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، وهو الذى اهتم بالمقارنة بين آراء افلاطون وأرسطو وخاصة فى كيفية الابصار وهل أنه يكون بانعكاس النور عن الأجسام المرئية إلى العين كما يقول أرسطو أم بخروج النور من العين إلى الأجسام حسب رأى افلاطون ، ومنها ـ أى مؤلفاته ـ شرح كتاب البرهان لأرسطو وكتاب المختصر فى علم المنطق ، وكتاب فى الموجودات المتغيرة وكتاب التوطئة فى المنطق وكلام فى الجزء وما لا يتجزأ وشرح كتاب السماء والعالم لأرسطو ، وشرح كتاب الآثار العلوية لأرسطو ، وشرح مقالة الاسكندر الافروديسى فى النفس ، ورسالة فى ماهية النفس ، وله

غير هذه كتب كثيرة فى الموسيقى والايقاع ، وكذلك له فى الطب مثل كتاب التوسط بين أرسطاطاليس وجالينوس وكتاب فى الفحص وكتب كثيرة أخرى فى السياسات المدنية وكتب فى الردود وغيرها .

ومن فلاسفة الشيعة المشاهير أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى (١) الفيلسوف الشهير وصاحب الآثار الخالدة وهو أول من سمى بفيلسوف الاسلام ، ويعد من طليعة المفكرين والفلاسفة المسلمين وكان من منجمى قصر الخلافة ببغداد ، وهو الذى تخرج على يده عظماء ومشاهير الفلاسفة المسلمين ، كالسرخسى وأحمد بن سهل البلخى وأبومعشر وزرنب وديبس وغيرهم . وله مؤلفات عديدة منها كتاب الجواهر الخمسة وكتاب فى الفلسفة الأولى وكتاب فى الابانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد ، وكثير غيرها نجمله بالقول عنه أنه ألف فى كل فرع من فروع المعرفة مؤلفات كثيرة (٢) ، فلقد وضع فى الفلسفة (٢٢) كتاباً ، (١٩) كتاباً فى النجوم ، (١٦) مؤلفاً فى الفلك (١٧) رسالة فى الجدل ، (١١) مؤلفاً فى الحساب ، (٢٣) مؤلفاً فى الهندسة ، (١٢) مؤلفاً فى الطب ، (١٢) فى الطبيعيات ، (٨) فى الكريات ، (٧) مؤلفات فى الموسيقى ، (٥) فى النفس ، (٥) فى تقدمة المعرفة ، (٩) فى المنطق ، (١٠) فى الاحكاميات ، (١٤) فى الأحداثيات (٨) فى الأبعاديات .

---

(١) هو الذى أقيم له فى بغداد سنة ١٩٦٢ احتفالات ومهرجانات .
(٢) مأخوذة عن فلاسفة الشيعة ص ٥٩٤ .

غير ما ألفه فى إلهيات أرسطو ومعرفة الأدوية المركبة وكتب فى المد والجزر ، وقد أحصاها ابن النديم فى الفهرست ومجموع ما ألفه الكندى على أكثر الأقوال بلغ تعدادها (٢٦٥) مؤلفاً .

ومن فلاسفتهم أبو محمد هشام بن الحكم الذى عرف بالتآليف الكثيرة والمعارف الغزيرة سواء فى الفلسفة أو الأصول والكلام وكانت له عند الإمام الصادق المكانة الجليلة ، وكان تلميذ الإمام وأخذ عنه علومه ، وكانت فلسفته بعيدة عن الفلسفة الرواقية لا كما يتوهم البعض ولكنها تميزت بالنزعة الجهمية ، وهو من غزارة التراث بمكان فلقد ترك من الكتب ما هو مصدر اليوم لكثير من العلوم . فمن كتبه كتاب الرد على أرسطاطاليس ، وكتاب التوحيد ، وكتاب الإمامة ، وكتاب الدلالات على حدوث الأشياء ، وكتاب الميزان وكتاب الحكمين ، وكتاب الاستطاعة ، وكتاب الرد على أصحاب الطبائع (الطبيعيين) ، وكتاب الجبر والقدر وغيرها .

ومن فلاسفة الشيعة الحسين بن عبدالله بن على المعروف بالرئيس ابن سينا وهو الفيلسوف الشهير والطبيب الكبير الذى عد من أكبر فلاسفة المسلمين ومن رجال الفكر الإسلامى لما زود به الفكر الاسلامى من علوم فى ميادين كثيرة كالفلك والطب والفلسفة وسائر العلوم وقد درس الباحثون والمدققون شخصية ابن سينا دراســــة وافية ضافية وكتبت حوله البحوث وألفت الكتب ولم تكن فلسفة ابن سينا مختصة بمذهب فلسفى فقط ، بل كانت مزيجاً مما يلائم ذوقه ويوافق رأيه .

ومن مؤلفات ابن سينا العديدة التى أنهاها السيد الأمين فى كتابه أعيان الشيعة إلى (١٨٠) مؤلفاً منها (القانون) وهو الكتاب الشهير وكتاب النجاة وكتاب الشفاء وكتاب الارشادات ، وكتاب الحكمة العرشية وكتاب المعراجة بالفارسية وكتاب الحكمة المشرقية وكتاب رسائل فى الحكمة والطبيعيات وكتاب الحاصل والمحصول وهو عشرون مجلداً فى الفلسفة . وله فى الطب كتب كثيرة ، وله فى الفلك كتب أيضاً منها كتاب النهاية واللانهاية ، وله كتاب الهداية فى الحكمة وكتاب (لسان العرب) فى اللغة وهو عشر مجلدات وغير ذلك من الكتب العظيمة .

ومن فلاسفتهم السيد محمد باقر الحسينى الاسترابادى المعروف (بالداماد) الذى كان من رجال الحكمة والفلسفة وأئمة الكلام والفقه وسائر المعارف ، وكان من المقربين لدى البلاط الصفوى وهو المعروف بكثرة التعبد وتلاوة الكتاب والمتميز فى فلسفته بالاتجاه الاشراقى وهو ذو التآليف المعروفة مثل كتاب تقويم الايمان وكتاب القبسات فى الحكمة وكتاب تفسير القرآن وكتاب شرح الاستبصار فى الحديث ورسالة فى الجبر والتفويض وكتاب الصراط المستقيم فى الحكمة وكتاب خلسة الملكوت وكتاب اللوامع الربانية فى رد شبه النصرانية ورسالة فى تحقيق مفهوم الوجود ، وكتاب الرواسخ السماوية وغيرها.

ومن فلاسفتهم محمد بن ابراهيم الشيرازى المعروف بصدر المتألهين وهو من أعاظم فلاسفة المسلمين ورجل الفلسفة الاشراقية الذى هاجم الفلسفة المشائية ، وهو المدرس الأول للفلسفة الإلهية فى

القرون المتأخرة فى البلاد الإسلامية الإمامية ، وهو صاحب نظرية (وحدة الوجود) ، وله من المؤلفات ما فاق الحصر منها الأسفار الأربعة وكتاب المبدأ والمعاد وكتاب الشواهد الربوبية ورسالة اتصاف الماهية بالوجود وشرح إلهيات الشفاء وكتاب أسرار الآيات وأنوار البينات ورسالة الحدوث ورسالة اكسير العارفين ورسالة القضاء والقدر ورسالة حشر العوالم ورسالة خلق الأعمال وكتاب جوابات المسائل العويصة وكتاب جوابات المسائل فى بدء وجود الانسان وغير هذه المؤلفات كثير معها ذكرنا منها ما يتيسر ذكره .

ومن فلاسفة الشيعة محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملى الحارثى الهمدانى المعروف (بالبهائى) الذى يعد من أعاظم علماء وفلاسفة القرن الهجرى الحادى عشر الذى كان له فى العلوم قدم راسخ والحائز على قصب السبق فى كل تناظر علمى أو جدل دينى وكان متميزاً بالمعرفة الرياضية ، وله آثار جليلة ومؤلفات عظيمة فى الفلك والفلسفة إضافة لما أفاضت به معارفه من علوم دينية ومن آثار البهائى الشمعة المعروفة فى اصفهان التى أوقدها فى اتون وكانت تكفى لتدفئة حمام كامل دون أن تتغير الشمعة ، وهو صاحب عجائب اصفهان فى البناء والفن والعمران . وأما مؤلفاته فمنها كتاب بحر الحساب وكتاب تشريح الأفلاك وكتاب خلاصة الحساب وكتاب رسالة تحقيق جهة القبلة وكتاب الكشكول وكتاب المخلات ورسائله وكتبه الأخرى .

ومن فلاسفة الشيعة المتأخرين فى أوائل القرن الميلادى العشرين

كامل بن على الصباح النباطى العاملى المتوفى سنة ١٩٣٥م والذى هو ركن من أركان العلم والعرفان لما تبحر فيه من علوم كالكهرباء والرياضيات والاختراع ، إذ منحته مؤسسة المهندسين الكهربائيين لقب (فتى العلم الكهربائى) ، وهو من مشاهير رجال العصر الحديث إذ اخترع مدة مكوثه فى امريكا (٧٦) مخترعاً (١) .

وغير هؤلاء كثير من الفلاسفة المتشيعين لم نذكرهم كالتنكابنى والأردبيلى وجعفر القطاع البغدادى والخاجونى والدينورى والأحسائى والكراجكى والميثمى والاربلى والأنورى والمازندرانى والقاشى وعبدالرزاق اللاهيجى والعمرانى الموصلى والبديع الاصطرلابى والفيض الكاشى وغيرهم كثير لا يحصيه مثل هذا الذكر الذى تلازمه حاجة الاستشهاد وليس الاحصاء فنحن إذ نذكر فلاسفة الشيعة فلسنا فى معرض إحصائهم ولكن لابراز نواحى تراث الشيعة وبسط سجل لهم نرسم على صفحاته للقارئ المتبصر صورة من تراث الشيعة بأبعاده ونواحيه المتشعبة

(١) أوردها الشيخ عبدالله نعمة فى كتابه فلاسفة الشيعة ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

الفصل الثامن

تراث الشيعة
من الناحية الاجتماعية

الإسلام بعامة نظام شامل كامل يضمن السعادة التامة لمعتنقيه فى دينهم ودنياهم لما يبثه فيهم من نفحات مليئة بالعلم زاخرة بالعرفان ومايطبع به سلوكهم من طابع الخلق القويم فاذا بالقلوب رحيمة والنفوس عالية الهمة جديرة بالحياة السامية .

ولسنا ننكر هذا المدعى لمجرد ما نراه من واقع سيء يعيشه المسلمون ، فما هذا إلا لتقصير المسلمين وإغفالهم أمر دينهم وتباعدهم عن نهجه الواضح وصراطه اللاحب المستقيم ، يقابل هذا دليل ساطع البرهان على عظمة المسلم وتكامل شخصيته ما يعرفه العالم شرقيه وغربيه عن سيرة المسلمين الأولين ومن كانوا الأمثل المسلم فى أزكى صورة وأعظم حال وإن شئت نخذ بعد رسول الله علياً أخاه وزوج ابنته وأبا سبطيه وتفحص سيرته وتدارس خصائص حياته ومزاياه وصفاته لتستنتج من ذلك كله صفات المسلم الحق وإذا كان للتشيع كمذهب نبراس فما له بعد الرسول الأكرم غير علي . وإذا كان المتشيع قدوة فما له بعد النبي سواه .

ومن هنا نستطيع أن نتكلم عن تراث الشيعة من الناحية الاجتماعية أى عن مبادئ حياتهم الاجتماعية ومزايا أخلاقهم وسيرهم

وأنا لا أزال على ما أكدت قوله من أنى لا أزيد فى الموضوع أكثر من سرده تاركاً للقارئ استخلاص مواطن العبرة والاتعاظ وما تمليه السير الصالحة على المسلم الحق من درس بليغ وموعظة حسنة وما تبثه من فيوض العرفان ليختلج حنايا قلبه ويخالط دمه ويرسم فى نفسه تصميم العمل بخطوات يلازمها الهدى ويرافقها الخير .

وأعود لموضوعى تراث الشيعة من الناحية الاجتماعية وأبدأ القول عن خصيصة هامة من خصائص الخلق الشيعى الاجتماعى وهى التقية . والتقية فى جوهرها كتم ما يحذر من إظهاره حتى يزول الحذر فالشيعى عنده سبيل التقية أفضل السبل للخلاص من البطش والاتقاء من الأعداء كما قال الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : « التقية دينى ودين آبائى » . ولكن ذلك لا يعنى أن يكون الشيعى جباناً خائر العزيمة خائفاً متردد الخطوات خنوعاً يملأ حناياه الذل ، ولكن للتقية عند الشيعى حدود لا تتعداها فكما هى واجب لا محيص عنه فى وقت فهى فى وقت آخر خروج عن الدين وكفر به ومروق عليه . هذا من عقيدة الشيعى فى حقيقتها وجوهرها ، لأن التقية تتقيد بظروف زمانها وبالحاجة لها ، فالتقية أمام حكم يزيد خروج عن الدين لظروف تستوجب ذلك وهى فى مصالحة الامام الحسن لمعاوية ومسالمة الامام الصادق للمنصور واجب فيه حماية الدين ورعاية المسلمين .

فتبصر بهذا البون الشاسع الذى إن هو إلا دليل على أن التقية ليست تعنى الجبن ولا تعنى النفاق كما ينعتها أعداء التشيع وإنما هى حدود وقيود تفرضها ضرورة يقدرها صاحب التقية أو بمعنى آخر يحسب المتقى للدين حساباً بين التقية والجهر وما يأمل من نصرته فى كلا الحالين ويعرف أى السبيلين هو الأرجح فعليه اتباعه ، وبالطبع يكون المميز لصلاحية أحد هذين السبيلين عند الإمامية الامام أو المجتهد النائب عنه كما رأينا فى تاريخ السلف الشيعى المتقدم وكما ذكرنا عن الامام الحسن ولجوئه للتقية لما فيها من حماية للاسلام . والحسين الذى أملت عليه حاجة الدين الثورة دون التقية وكما رأينا ذلك عند العلماء ، فمنهم من التزم التقية فى ظرف ما ، ومنهم من وجد مصلحة الدين بعكسها فالشيخ الشيرازى الحائرى (طيب الله ثراه) قاد ثورة العشرين على المستعمرين الأنكليز فى وقت كان يؤثر التقية أيام الحكم العثمانى الجائر لما كان يراه بنافذ علمه ورجحان عقله من وجوب سلوك هذين السبيلين كل فى وقته وحسب الحاجة الماسة له . ولا يتعلق هذا بقوة المسلمين أو ضعفهم كما عند البعض إذ يكفرون اللجوء إلى التقية فى وقت أصبح تعداد المسلمين فيه أكثر من (٦٠٠) مليون ومن أعلم هؤلاء المكفرين للتقية بأن الحق الذى يكتمه المتقى ويخاف من إثباته هو الذى له القوة بحيث لا تقية فيه ولو وجدت له القوة بهذا العدد أو بأقل عدد كما هو عدد أصحاب الحسين عليه السلام لما أتقى المتقى فيه ، بل أصبح واجبه الجهر والاعلان

وبعد هذه المناقشة والعرض للتقية كصفة مميزة لسلوك الشيعى

الاجتماعي ننتقل لما فى تراثهم الاجتماعي من نواحي أخرى فنقول :
إن تراث الشيعي الاجتماعي يتميز بما لازم سيرة عظمائهم من زهد وعدل وخلق كريم ، فتراهم لا يفرقون تمايز الأبيض على الأسود ولا العربى على الأعجمى إلا بالتقوى .

ومن هنا طعن الطاعنون مذهب التشيع بأنه أقرب للشعوبيين من سواه وما أدرى بأى دليل يستدلون وبأى برهان يبرهنون . وها نحن نتصفح تأريخ التشيع فى أصله ومبدئه فلا نجد لغير العرب رجل فى رجاله ، فرواة أحاديثه ومفسريه وقادته ما فيهم إلا سليل سيد العرب والعجم محمد ﷺ ورجاله المشاهير الذى ذكرنا فى كتابنا هذا الصحابة منهم والتابعين والعلماء والفلاسفة المفكرين ما فيهم إلا العربى فى المولد والعربى فى الفكرة والمسلم فوق كل هـذه الاعتبارات ، وإذا أصبح مسلماً حقاً فليس له إلا التزام القرآن ليقرأ وينفذ بسم الله الرحمن الرحيم « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ۚ إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » سورة الحجرات آية (١٢) .

وليأخذ قول الرسول الأكرم : « لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح » وهو الذى فضل ﷺ بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى على عمه أبى لهب .

أقول هذا مع خلو مذهب التشيع ورجاله من غير العرب على العموم إلا من يتخذ مذهب التشيع له مذهباً وهذا ليس من رجاله

المذهب الذين منهم وبهم وعنهم تسلسلت الأحكام والتعاليم إذا لا يقر الشيعي حكماً عن غير أهل البيت . وهذا ما لا يوجد عند سواهم من المذاهب ، فالمعلوم ان أكثر رجالات الفرق الإسلامية والمذاهب عدا الإمامية سواء في الحديث أو الفقه أو التفسير أو التأريخ هم من غير العرب ومن الفرس خاصة . ومن شاء فليراجع التراجم .

ومن تراث الشيعة الاجتماعي الصدق كما أكد ذلك الكتاب المبين والرسول الكريم والأئمة الأطهار ، فتراه طابعاً لهم وشعاراً يرفعونه وليس قولي هذا على سائر المتشيعين وعمومهم ، بل عن رجالهم والمأخوذ عنهم أمر الدين والدنيا منهم .

ومن طابع تراثهم الاجتماعي زيارة الأضرحة المقدسة والقسم بأولياء الله دونه ، ومع أن هذا ليس مقصوراً على الشيعة بل ما من ملة إلا ولها غير معبودها أيماناً تقسم بها لسبب ما .

أما الشيعة فسبب إتيانهم للأيمان بالأئمة المطهرين ، فهو لقداسة هؤلاء الرجال وعظمة مكانتهم عندهم من جهة وعند الله من أخرى ومن باب آخر يجلون الله سبحانه ويبعدونه عن أن يكون عرضة لأيمانهم كما نهى هو في كتابه العزيز عن ذلك .

أما زيارتهم للأضرحة والمشاهد المقدسة ، فذلك لتعظيم هؤلاء الرجال الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين الحنيف من جهة ولصلتهم بالدم والرحم من رسول الله ﷺ من جهة أخرى . وهم إذ يفدون على المشاهد المشرفة ، فانهم يقتبسون من فيوض أهلها العلم والعرفان

ويتزودن بزاد التقوى وينهلون من منهل الصادى فيغترفون غرفات مليئة بالفضيلة وينهلون نهلات عميمة الخير .

ولتراث الشيعة الاجتماعى ناحية أخرى ، هى الاستنجاد بالأئمة والتوسل بهم إلى الله والتقرب بواسطتهم عنده ، وما هذا إلا للإيمان بأن التقرب منهم تقرب له سبحانه ، وان تعظيمهم تعظيم للخالق المهيمن لأنهم تقربوا له بقربهم من رسوله وخشيتهم له وعبادتهم إياه ، وليس فى هذا من ملام على متوسل بجاه الرسول عند الله ، إذ التوسل بآل الرسول هو التوسل به وتعظيم آل الرسول تعظيم وإجلال له وليس ذلك من باب الاشراك والالحاد واتخاذ المتوسل به رباً دون الله كما يرمى الجاهلون مذهب التشيع .

وإذا كان فى تراث الشيعة نواحى أغفلنا ذكرها لعدم توسعنا فى الموضوع ، فلا أرى فى تراثهم شيئاً من الانتحال والتزوير ولا الكذب ولا التلفيق ، ولا أرى فى تراثهم مدعاة إلى غير توحيد الأمة الاسلامية ولمّ وتقوية صفوفها تأكيداً لرسوخ الدين فى نفوس المسلمين الذى يؤدى لتوحيد المسلمين ، بل الناس أجمعين وتقويم أمور حياتهم أراده الله ديناً ونظاماً وسبيلا ، وبعث لذلك رسوله الأكرم ونبيه الأعظم محمد ﷺ يدعمه بالآيات الباهرات والخوارق والمعجزات ؟

الفصل التاسع

تراث الشيعة
من الناحية الاقتصادية

لم يكن الاقتصاد كما نعرفه اليوم بالأمس لما يصاحب حياتنا اليوم من تعقيد ، وما يلازمها من معاملات متشعبة وما كان ليشغل الأذهان ويثير اهتمام المصلحين والمرشدين لبساطة الحياة وسهولة العيش باليسير من المال والمؤونة وبالتجارة المشتركة العميمة النفع . ولكن الاسلام لم يك نظاماً زمنياً محدوداً ولا إقليماً ضيقاً ، بل تعدى حدود الاقليمية والزمنية ليعالج مشاكل المجتمع فى كل وقت وزمن وعند كل شعب وأمة أنى كانت ومتى وجدت .

ولذلك بسط الاسلام مفاهيماً فى الاقتصاد وتنظيم الحياة الاقتصادية كانت مناراً ومحجاً لرواد العدالة الاجتماعية وسبيلا للعاملين على خلق المجتمع السليم التكوين الوافر العدل الذى لا يستعلى فيه غنى على فقير ولا يظلم قويه الضعيف .

ونحن على يقين من عدالة الاسلام لما رواه التأريخ وصدقه العالم

شرقياً وغربياً من روايات عن عدالة الاسلام وسيرة رجاله الأولين وما عرفوا به من تواضع وزهـــد فى العيش ومساواة فى العطاء كما يتساوون فى الواجب .

ولكننا فى معرض ذكر تراث الشيعة الاقتصادى ليس لنا إلا ذكر ما عرف به مذهب التشيع من مثل ومبادئ اقتصادية ونتعرف أيضاً على غايات هذه المبادئ ومراميها وأهدافها .

فمن مبادئ الشيعة فى الاقتصاد توفير حياة مليئة بالرفاه العام لكل الأفراد المحكومين دون استثناء وبغير استعلاء ونستنتج هذا من شروطهم فى الامام أو الحاكم أو المجتهد الذى يوجبون شرط العدالة شرطاً هاماً لا يصح بانعدامه الاتمام بحكمه ، ولا الاحتكام عنده ولا اتباع اجتهاده ، وهـــذا ما هو غاية المنى لرواد العدالة الاجتماعية ودعاة الانسانية .

ومن مبادئ الشيعة الاقتصادية وتراثهم الاقتصادى حق المجاهرة فى مطالبة الحكام بتنظيم الحياة الاقتصادية بالعدل ومجالدتهم عند ضياع الحق ، وهذا ماشهد لهم به التأريخ باعلان الثورات بوجه الظلم الاجتماعى النابع عن الظلم السياسى .

ولا حاجة لذكر الشواهد والاستدلالات لأنها متكاثرة متوافرة ولهم فى عدالتهم الاجتماعية النبراس والقدوة فى أئمتهم السائرين بهديهم الأئمة من أهل البيت المطهر الذين عرفوا بالزهد والتقى والعفاف والقناعة ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وإعطاء المحروم وإشباع الجائع

وإعانة الضعيف ومساواة الناس فى كل شىء إلا بما فضلهم الله به ومعاملة الناس بالإحسان وفقاً لأحكام القرآن وليس بعد هذا للمتشيع الحقيقى أن يظهر فى أمر اقتصادى حكماً أو عملا إلا ما عمله الرسول الأكرم وآله . وكم حدا تراث الشيعة بالكتاب للكتابة فيه فقائل يرمى مذهب التشيع لعدالته الإجتماعية فيقول : إنه جبهة اليسار فى الإسلام وقائل يقول إنه وليد الظلم الإجتماعى والتفاوت الطبق أو غير ذلك ، ولكن التشيع أبى إلا أن يعرف بالعدالة الإجتماعية ، فلا هو اليسار ولا هو اليمين ، ولكنه عدالة اجتماعية هى عدالة الإسلام وحكم القرآن وإتيان النبى وآله لأمور يطبقها المتشيع فيراها كفيلة بالعدالة الحقة الصالحة الخالصة من درن المن والأذى والبعيدة عن الغصب والقهر وكم لنا من شاهد ودليل فى الحقوق الشرعية التى يدفعها الشيعة عن طيب خاطر لعلمائهم لينفقوها فى إعطاء الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين والمعوزين ، وهذه جامعات العلم الشيعية يعال طلابها وأساتذتها وخدمها من هذا الوجه الخيرى ومن يد العلماء الأعلام والمراجع المجتهدين وهؤلاء الفقراء يجدون من اعطيات الحقوق ما يسد كثيراً من عوزهم وهو مع ذلك خال من المنة فليس الدافع له يدفعه مكرهاً ولا مجبراً ولا متفضلا على المعطى له بل هو دين حل وقت أدائه أو حق حان وقت وفائه .

وهذا دافع نفسى للعدل الإجتماعى هو خير من كثير من وسائل العدل الاجتماعى التى تنظم حياة أغلب الأمم اليوم . ولعلنا لو رجعنا

إلى هذه العدالة الاجتماعية الاسلامية لأغنتنا عن كلما يطرح لنا بيد الغدر التي تدس السم بالعسل من وسائل ومبادئ اقتصادية ليس لها إلا أفكار الاستعمار أفكاراً موجهة وأيدي محركة . لأن الاستعمار الاقتصادي أصبح اليوم وسيلة أخرى من وسائل الاستعمار ، بل نوعاً من أنواعه فاذا قلنا إن الاستعمار استعمار سياسي وديني وثقافي ومن ثم اقتصادي . والاستعمار الاقتصادي أما بالاستغلال المباشر أو باستعمار الأفكار التي إذا استعمرت صار الاستعمار ثقافياً وسياسياً ودينياً واقتصادياً .

ولهذا فنحن في غنى عن هذه المبادئ الاقتصادية ، وما لنا إلا عدالة الاسلام وما تكفله من رفاه وما تضمنه من هناء العيش وسعادة الحياة .

وما في الاسلام من مبادئ اقتصادية هي تراث الشيعة الاقتصادية مأخوذاً أو مأخوذة عن أهل البيت عن رسول الله ﷺ ؟

الفصل العاشر

المنبر الحسينى
من تراث الشيعة

لابد لكل فكرة أو مذهب من وسيلة إعلامية كالمذياع أو المنشورات أو غير ذلك من وسائل لتكون هذه الوسـائل الاعلامية وسائل النشر التى بها تصل المفاهيم إلى الأذهان وتتعمق الأفكار فى النفوس وترسخ فى العقول وتتشرب بالأرواح ، وهذا ما نعرفه فى عصرنا الحاضر اليوم لتوفر هذه الوسائل .

أما ما عهدناه بالأمس من انعدام هـذه الوسائل هو الذى دعا لوسائل أخرى تضمن ثبوت الدعوة ورسوخ الفكرة والذود عن هذه المبادئ والمفاهيم والرد على خصومها وتعريف المجتمع برجالها وسيرهم وأحوالهم لتكون هذه دروساً للتوجيه والارشاد .

وهكذا كانت فكرة المنبر الحسينى وغاية إيجاده وعلة خلقه فما أنشىء إلا ليكون الأذاعة السيارة المتجولة الجوابة لبث المفاهيم الشيعية ونشرها أو هى المستوصف السيار الذى يعطى الدواء لأمراض العقيدة وكانت ظلامة أهل البيت شارة هذه المؤسسة الاعلامية وشعارها وعلى رأس

هذه الظلامة حادثة الطف المجلجلة وما ارتكب فيها من جور فضيع وقتل شنيع وسبي مريع لعيالات رسول الله حتى طفى هذا الشعار وأصبح وكأنه الغاية لهذه المؤسسة الاعلامية ، ولكن المشاهير من رجاله ـ أي المنبر ـ الواعين المدركين لمهمته ما برحوا عند غايته يبثون التعاليم الاسلامية والأحكام الدينية والمواعظ والارشادات والحكم والنصائح ويعرضون السير والأشخاص الخوالد للقدوة والاحتذاء غير غافلين عن ذكر سيد الشهداء الحسين عليه السلام وعرض مصيبته واستدرار الدموع لرزيته تهييجاً للعواطف واستثارة المشاعر وتنبيهاً للضمائر وضماناً لنشر مفاهيم مذهب أهل البيت وبقائها راسخة متينة ، ومن جهة أخرى تعليماً وتوجيهاً للجلساء إذ أصبح المنبر الحسيني اليوم مدرسة عامة هي خير بكثير من المدارس المعروفة فهو غير محدود بسن ، وتلك محدودة بسن الدخول فيها والمنبر عام للجميع وهي غير عامة ، فلا يجوز الانتقال في ساعة بعد ساعة من مدرسة لمدرسة ومن معلم لمعلم ومن موضوع لآخر وبعد هذا ليقل القائلون عن المنبر انه ليس إلا ندباً وبكاءاً وذرف دموع على قتيل مظلوم فما أحوجهم لمعرفة غاية المنبر قبل الحكم عليه وما أجدرهم بالحكم على عظمة المنبر ، إذ لولاه لما رأينا لمذهب أهل البيت من باقية .

وإذا ما عرفنا أنه إذاعة تبث الارشاد وتسدي النصح وتبشر بتعاليم الاسلام ، وتقرع الباطل فتدمغه بحجج وبراهين فهل لنا أن نلوم أهله أو نهزأ من رجاله وبناته وها نحن نرى فيهم أوعية علم وفهم

ورجال روية وتدبر وحفاظ دين وعلم وأدب وثقافة وتتوافر فيهم الرصانة فى السيرة والمتانة فى التعبير والصدق فى الرواية والمثل الأمثل المقتدى برجالات الاسلام والمستضىء بأنواره والمسترشد بمبادئه .

وكم نحن بأمس الحاجة إلى الاستزادة من هذه المدارس السيارة والاذاعة الجوالة لنعمق بها وعينا ونبنى بها صرح حضارتنا ومجد أمتنا بخلق جيل صالح يستلهم من المنبر وأهله الخلق القويم والسيرة الصالحة والجرأة على الجهر بالحق والصراحة فى إعلانه وإلى التقيد بالدين والالتزام بأوامره والانتهاء عن نواهيه ولنضمن للأمة الاسلامية وحدة قوامها الوعى والتفهم لمبادئ الاسلام والالمام بأحكامه مأخوذاً ذلك عن وعاة الدين ورجاله المتولين مهمة بث الوعى وبسط التعاليم خدام المنبر الحسينى مذيعى الاذاعة الاسلامية .

ولتراث الشيعة الحسينى جانب آخر هام هو إعادة ذكرى عاشوراء وإظهار شعائر الحزن والندب واللطم خـلال شهرى المحرم وصفر تعظيماً لذكرى استشهاد أول ثوار حق فى الاسلام الذين بثورتهم قامت الحجة بأحقية الثورة على الظلم ومحاربة البغى واعلان كلمة الحق وليس هذا كما يتصوره البعض نابعاً عن الخرافات والتقاليد ولا أرى فى صميم الدين وجوهر الاسلام مانعاً يمنع عن اتيان مثل هذه الشعائر التى يطغى عليها جانب الأجلال للدين باجلال المضحين فى سبيله وتتسم بطابع الاخلاص والبذل لله وفى سبيل شعائره « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وهى التى تعيد للإسلام وللمسلمين سيرة مثالية

عصامية فى كل عام لتعود ثورة الحسين جديدة حية لابسة برد الخلود وثوب البقاء معرّفة بالحق وداعية للدين ليترسم مثلها التائهون وليهتدى بأضوائها الضالون .

واذا كانت الغاية على هذه الدرجة من القداسة وما دامت هذه الوسيلة طاهرة غير دنسة فلا مانع من أن نولى هذه الوسيلة شيئاً من قداسة الغاية وما دام المراد من اللطم والندب لسيد الشهداء استصراخ الذمم واستنهاض الضمائر لإسناد الحق ونصرته فلا ضير أن يرفع المسلمون جميعاً شعائر الحداد على فقيد ما أعظمه ومصاب ما أجله مع خالص اليقين وثابت الايمان من طهارة هذه الوسائل وسلامة هذه العادات التى منبعها الحب الصادق للرسول وآله ودافعها الولاء العميق للدين وبناته ودعاته فحي الله هذا التراث الذى هو فى خدمة الحق والثائرين من أجل الحق فى كل وقت وزمان ، وبالتالى هو فى خدمة الاسلام لأن الحق مع الاسلام والاسلام مع الحق ؟

الخاتمة

الحمد لله حمداً متزايداً متكاثراً لتوفيقنا لهذه الخدمة الاسلامية التى توليناها اسهاماً منا فى تحمل أعباء الجهاد فى سبيل الله وذياداً منا عن حياض الحق واظهاراً منا لعظمة الاسلام بعظمة طائفة من معتنقيه ظلمهم التأريخ حتى حملهم الجاهلون محمل الضلال وحملوا مذهبهم محمل الخرافة ونعتوه بكل نعت شين وشبه قبيحة ولفقوا للطعن فيه كل قولة لا يدعمها سند من علم ولا منطق ولا يقرها عقل سليم .

فآثرت أن أبرز جانباً جهادياً تناولت فيه كل سبب ونسب يربط مذهب التشيع بالحق والعلم والفضيلة لا ليكون كتابنا الزاماً للجاحد ورداً على المكابر المعاند فحسب بل ليكون سيفاً يصلته الراد والذائد عن مذهب أهل البيت فى كل مجال وفى كل مكان وليرد بعلم وعدل وباستدلال لا شائبة فيه ولا ريبة معه أن التشيع أصيل فى الاسلام غير محدث قام على عهد رسول الله وليس بعده وان التشيع سليم عن الأضاليل بعيد عن الخرافات طاهر من درن الشعوبية يرجع فى ذلك لما أوردناه من ذكر رجال الشيعة ضمن تراثهم فى ميدان العقيدة والأدب والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والعلوم الأخرى دينية أو دنيوية .

وفقنا الله والعاملين فى سبيله لما يرضاه وأخذ بأيدينا الى منتهى الآمال ونفعنا المرتجى وهو سلامة الدين ونيل رضاء الله ومحمد وآله المعصومين ؟

بعض مصادر الكتاب

١ ـ المجلد السادس والتاسع والخامس والعشرون من البحار للعلامة المجلسي طبع مطبعة خورشيد بطهران سنة ١٣٢٣ هـ .
٢ ـ مع علماء النجف الأشرف لمحمدجواد مغنية ط مطبعة نمنم بيروت
٣ ـ الشيعة والتشيع لمحمد جواد مغنية طبع دار الكتاب اللبناني
٤ ـ آثار الشيعة الامامية لعبد العزيز صاحب الجواهر طبع مطبعة الشورى بطهران
٥ ـ تأريخ الشيعة لمحمدالحسين المظفري طبع مطبعة الزهراء في النجف
٦ ـ الشيعة في التأريخ لمحمد حسن الزين طبع مطبعة العرفان بصيدا
٧ ـ عبقرية الفاطميين لمحمد حسن الأعظمي ومقدمة الكتاب لعارف تامر طبع دار مكتبة الحياة ببيروت
٨ ـ الفصول المهمة والمراجعات لشرف الدين ط مطبعة العرفان بصيدا
٩ ـ فلاسفة الشيعة للشيخ عبدالله نعمة ط دار مكتبة الحياة ببيروت
١٠ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيد حسن الصدر طبع شركة الطباعة العراقية المحدودة
١١ ـ الغدير أجزاؤه الخمس الاولى للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني طبع ١ ، ٢ ، ٤ في مطبعة الغري بالنجف والجزء الثالث بمطبعة الحيدري بطهران والخامس في مطبعة الزهراء في النجف
١٢ ـ الشيعة والحاكمون لمحمد جواد مغنية طبع بيروت الطبعة الأولى الاولى سنة ١٩٦١ م .